

أم العروسة



أم العروسة

طبعة ثانية

أم العروسة

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الطبعة
مكتبة مصر
٣ شارع كامل مدني - الجيزة

الفصل الأول

تردد رنين الجرس الخارجى فى أرجاء الشقة ، ففتح حسين عينيه فوقعتا على زوجته زينب ، الراقدة إلى جواره تغط فى نومها ، وتتابع الرنين فأزاح الغطاء بعيدا عنه وهو ينهض ، فرأى ابنته هالة تتمطى فى سريرها الصغير ، الملتصق بسريرها من جانب زينب ، فخشى أن يوقظها ذلك الرنين المتواصل ، فهب مسرعا وانطلق حافى القدمين إلى المطبخ والتقط وعاء اللبن واتجه إلى باب الشقة وهو يهرول .

انفرج الباب عن فتحة تكاد تسمح بمرور الوعاء ، ومد يده به ، وهو يخفى وجهه عن بائع اللبن ، فقد أحس أن شعره منفوش ، وعينيه مازالتا منتفختين من أثر النوم ، وأن البيجاما التى يرتديها كانت من قطعتين مختلفتين !

وشعر بثقل اللبن فى الوعاء ، فسحب ذراعه ، وأغلق الباب فى حذر ، حتى لا يرتفع صريه ويوقظ النائمين ، وسار على أطراف أصابعه إلى المطبخ ، ثم عاد إلى غرفة نومه ، واندس فى السرير ، وسحب الغطاء وأغمض عينيه ليستأنف النوم اللذيذ .

وتقلبت هالة فى سريرها ، وبكت بصوت بدأ منخفضا ثم أخذ فى الارتفاع ، فمد ذراعه من فوق زوجته ، وراح يتحسس الحلمة المطاط المشبوكة فى صدر هالة ، حتى عثر عليها ووضعها فى فمها ، ولكن هالة

لم تكف عن البكاء ، بل انقلب صياحا ، فنحى الغطاء عنه في غيظ ، فانكشف ذراع زينب ، وقام ليغادر الغرفة حافى القدمين إلى المطبخ ، وهو ينظر إلى زوجته وابنته التي عكر عويلها صفو السكون ، فألقى زوجته تمد يدها وتسحب الغطاء عليها دون أن تفتح عينها ، وتروح في سبات وقد ارتسم على وجهها هدوء عجيب .

ووصل إلى المطبخ ، وبكاء ابنته يصك أذنيه ، فتناول علبة الكبريت ، وأخرج منها عودا في عجلة ، وحاول أن يشعله ، ولكن العود انكسر ، فأخرج آخر وأشعله في لهفة ، ثم أوقد « وابور السبرتو » ووضع فوقه وعاء اللبن .

ولم يشأ أن يضيع وقتا ، فأخرج من التلمية زجاجة ركبت فوق فوهتها حلمة من المطاط ، وذهب إلى الحوض ، وأخذ يغسلها في عناية ، ثم وضع فيها قمعا ، وعاد إلى وعاء اللبن الموضوع فوق « وابور السبرتو » .

واستمرت هالة في بكائها ، فجعل يتململ في وقفته ، وينظر إلى النار في توسل يتعجلها .. وأخيرا رفع الوعاء وصب اللبن في الزجاجة ثم ألقى القمع في الحوض ، وراح يركب الحلمة المطاط .

وفتح صنبور الماء ، ومد يده بالزجاجة ليبرد اللبن ، واستمر الماء يجري فوق الزجاجة ، حتى إذا حسب أن حرارة اللبن أصبحت مناسبة ، رفع الزجاجة إلى فمه ، ومص من الحلمة مصة فإذا باللبن يلسعه ، فعاد وضع الزجاجة تحت الماء في ضيق ، فبكاء هالة كان يدوى في المطبخ . وأغلق صنبور الماء ، وعاد مص الحلمة مرة أخرى ، وهو في انطلاقه

إلى هالة ، ليطمئن إلى مناسبة درجة حرارة اللبن ، ورفع بصره إلى الساعة المتواضعة المعلقة في الردهة ، فإذا بها تشير إلى السادسة ، وأخرج الحلمة من فمه ، ومسحها بيده ، ثم هرول إلى غرفة النوم .

وألقم هالة الحلمة ، فكفت عن البكاء ، وأخذت الزجاجاة بين يديها فوقف ينظر إليها برهة ، وقد تفجرت ينابيع الحنان في جوفه ، وانبسبت أساريه ، ثم دار حول السرير ليأخذ مكانه إلى جوار زينب ، ولكنه ما إن هم بالرقاد ، حتى عاود القيام ، فقد تذكر شيئاً هاماً :

خرج من الغرفة ، وسار في ردهة طويلة ، حتى بلغ غرفة مغلقة ، ففتح بابها في حرص ونظر . كان في الغرفة ثلاثة أسرة ، رقدت فيها بناته الثلاث ، أحلام ونبيلة وسوسن .

كانت أحلام في الثامنة عشرة ، مكتملة النمو ، يبضء البشرة ، تبعثر شعرها الأسود الفاحم على الوسادة ، وارتسمت على شفتيها بسمه ، ودارت في فراشها نصف دورة ، فارتفع صدرها الناهد ، وامتدت إحدى ساقها العاريتين وتقلصت الأخرى ، كانت في حلم لذيد من أحلام الشباب .

وكانت نبيلة في السابعة عشرة ، منفوشة الشعر ، مزججة الحاجبين ، رقيقة الشفتين ، وكانتا تتمتان ، فهي لا تكف عن الكلام حتى في نومها ، كانت ترتدى بيجاماً ضيقة ، تكشف تفاصيل جسمها الرياضي .

وكانت سوسن في الثامنة ، دقيقة الملامح ، وردية اللون ، سبطة الشعر ، تبدو في نومها كملاك ، قد رفع ثوبها أثناء تقلبها ، فبدا بطنها

عاريا .

وتقدم يسترق الخطا ، وتناول أطراف الغطاء المكور تحت أقدام
أحلام وسحبه في رفق فوقها ، ثم اتجه إلى نبيلة والتقط الغطاء من على
الأرض ، وغطاها وهو ينظر إلى شفتيها الدائبتى الحركة ، فأشرق وجهه
وبدا على فمه مولد ابتسامة .

وذهب إلى سوسن ، ورفعها في رفق بين يديه ليعيد رأسها على
الوسادة ثم أحكم غطاءها ، وراح يمرر يده على شعرها الكستنائى فى حب
وحنان .

وانسحب من الغرفة ، وجذب الباب خلفه ، وقبل أن يغلقه ، وقف
برهة وقد لمعت عيناه .

واتجه إلى الغرفة المجاورة ، وفتح بابها ونظر ، فإذا بثلاثة أسرة رقد فيها
أبناءؤه الثلاثة ، سامى ومراد وعاطف .

كان سامى فى الرابعة عشرة ، معتزا بشبابه ، ينام عاريا ، لا يرتدى
إلا بنطلونا قصيرا من قماش أبيض ، وكان وجهه أشبه بوجه نبيلة ،
كانت ملامحه توحى بطفولة ، ولكنه كان راضيا عن شكله كل الرضا ،
وما كان يضايقه إلا تأخر نمو شاربه !

كان مراد فى الثانية عشرة ، تبدو فى رقدته شقاوة ، فآثار الخبر فى
أصابعه وفى خده ، وقد أدخل زرار البيجاما الأول فى العروة الثانية ، ونام
فى عرض السرير ، رأسه مدلى ورجلاه مرفوعتان على الحائط .

كان عاطف فى الثالثة ، نام وقد وضع يده تحت خده ، وكور جسمه
فدنت ركبته من ذقنه ، كان يرتدى قميصه وبنطلونه المخمل الأحمر ،

وفردة حذاء وجوربا أبيض في رجل ، ورجله الثانية عارية !
واتجه حسين إلى عاطف ، وخلع له الحذاء والجورب ، ثم أبعد خصلة
الشعر الأصفر المتهدلة على وجهه عن عينيه ، وجذب يده من تحت خده
في رفق ، فإذا به يتقلب في فراشه ، فخشى أبوه أن يستيقظ ، فوضع
الغطاء فوقه ، وانسل من جواره في حذر وهو يتلفت .

وذهب إلى مراد ، وحمله بين يديه ، ووضع رأسه على الوسادة ، ثم
غطاه ، وقبل أن يتحرك رفس مراد الغطاء ، ودار نصف دورة ، فإذا
يرأسه يتدلى في الهواء ، وإذا برجليه ترتفعان وتستندان إلى الحائط ، عائدا
إلى وضعه الأول . فتناول الأب الغطاء وغطى به ابنه ، وهو في وضعه
ذاك ، دون أن يحاول إعادة رأسه إلى الوسادة .

ويم صوب سامى ، وسحب عليه الغطاء ، فإذا بسامى يهب من
نومه مفزوعا ، وينكمش في الزاوية البعيدة من السرير ، وقد فتح عينيه
المحمرتين من أثر النوم ، وعلا رأسه شعره الذى كان أشبه بعرف الديك ،
فبدا كأنما قد وقف من الخوف ، وراح يغمغم :

— هو .. هو .. هو . فى إيه ؟ فى إيه ؟

فقال أبوه وهو يجذبه فى رفق :

— نام .. ما فيش حاجه ..

نام سامى ، وسرعان ما أغلق عينيه ، فأسدل أبوه عليه الغطاء ،
وتحرك عاطف فى سريريه وتمطى ، فغادر الأب الغرفة هاربا .

ودخل غرفة نومه ، وفى طريقه إلى السرير مر بمرآة ، فتفرس فى وجهه
لحظة ، ومرر يده على شعره ، ثم هبط بها يتحسس التجعيدات التى بدت

في صفحة وجهه ، ولاح في عينيه الأسى ، فقد مشت إليه الشيخوخة ولما يتجاوز الخامسة والأربعين !

وألقي بجسمه في السرير ، وأغمض عينيه ، ولكنه أحس حركة في الغرفة ، ففتح عينا واحدة ونظر فلمح عاطف قد أقبل ، فأغمض عينيه وتظاهر بالنوم .

وراح عاطف يتساقط السرير ، ثم أراد أن يتخطى أباه النائم ، فداس فوقه وغاصت رجله في بطنه وحسين صامت لا يتكلم ، وإن تحرك قليلا ليفسح له مكانا بينه وبين زوجته ، واندس عاطف بين والديه ، ووضع رأسه على الوسادة ، ثم وضع ساقا على أخرى وهو راقد .

وظل ساكنا لحظة ، وسرعان ما ضاق بذلك الصمت المسيطر على الغرفة ، فالتفت إلى أمه فألفاها مغمضة العينين ، فمد يده يفتح لها عينها ، فتململت الأم في نومها وأزاحت يده بعيدا ، فلم يرتدع ، بل استمرأ فعلته ، فاعتدل في جلسته ليكون أمر فتح عيني أمه بيديه ميسورا .

وضاقت أمه بالحاحه ، فأولته ظهرها لتبعد عينها من يديه ، فإذا به ينهض ويمتطيا ، فدفعته بمرفقها فسقط على أبيه الذي تلقاه بين يديه ، وحمله ووضعه على الأرض ، وقال له :

— روح صحى نبيلة .

— ادينى قرش قبله .

— دلوقت لما اصحى .

— ما انت صاحى أهو . ادينى قرش بقى .

ونفض حسين واتجه إلى حيث علق ثيابه ليعطيه قرشا ، ويريح رأسه ،
كان واثقا من أن عاطف لن يكف عن طلبه حتى يأخذ ما يريد .

ومدت زينب يدها إلى هالة لتحسسها ، وهى مغمضة العينين حتى
لا يفر النوم منهما ، وراحت يدها تتجول على جسمها ، حتى إذا بلغت
نهاية ظهرها ، تقلص وجهها تقززا ، وفتحت عينيها وأزاحت الغطاء
عنها ، ونفضت لتحمل ابتها وتغادر الغرفة .

وأخذ عاطف القرش ونظر إليه مليا ، ثم أعاده إلى أبيه وهو يقول :
— لأ ما اخدش ده ، عايز قرش مخروق .

وكانت الأم قد دنت منهما وهى تحمل هالة بين يديها .
فقالت لزوجها :

— إيه الدلع ده ؟ ما حدح يتلف أمله غيرك .

فقال حسين لابنه فى زجر :

— ما فيش غير ده .

فراح عاطف يصيح فى بكاء :

— أنا مالى عايز قرش مخروق .. عايز قرش مخروق .

وكانت زينب قد غادرت الغرفة ، فإذا بها تصيح من الحمام :

— عندك قرش مخروق تحت المخلدة .

فابتسم حسين وقال :

— حنينا !

وأخذ عاطف القرش وذهب إلى حيث يرقد إخوته ، واقترب من
مراد وقال له وهو يمد يده بالقرش :

— خد .. ادبنى حاجه ..

فتح مراد عينيه فرأى القرش ، فرفع رأسه المتدلى وأنزل رجله من على الحائط ، ونهض مسرعا ، وقبل أن يغادر فراشه كان قد التقط القرش بين أصابعه . وغادر الغرفة وعاطف في أثره ، واتجه إلى صوان صغير في الردهة ، وفتحه وأخرج منه صندوقا من الورق .

بدأت الحركة تدب في الشقة ، فقد استيقظت نبيلة ووقفت على باب غرفتها ، واستيقظ سامى وظهر عند باب غرفته وقد وضع فوطه فوق كتفيه ، ولحته نبيلة فانطلقت مسرعة على أطراف أصابعها كراقصة الباليه لتبلغ دورة المياه قبله ، فقال لها سامى في غيظ :

— آدى اللى انت فالحه فيه .

فقال له .

— أحسن منك ، مش فالح فى حاجه أبدا .

وارتفع صوت الأم من الحمام :

— اصطبحننا !

فقال سامى فى عناد :

— تعالى شوفى صابحه ترقص ازاي !

وارتفع صوت نبيلة من بعيد :

— باقول لك ما لكش دعوه بيه .

وإذا بصوت الأم يدوى :

— وبعدين معاكو .

وصمت سامى ونبيلة ، وصاح عاطف وهو يعيد قطعة السمسمة

إلى مراد :

— مش عايز دى .. أنا أنقى ..

وقدم مراد الصندوق إلى عاطف ، وهو يقول :

— خد اللى انت عايزه .

ومد عاطف يده ينتقى ما يريد ، وقال سامى وهو يضم الفوطة إلى

صدره :

— مش ح تبطل التجارة دى يا مراد ؟

فقال له مراد بصوته الخارج من كل حنجرتة ، وقد نفرت عروق

رقبته :

— وانت مالك .

وخرجت سوسن من غرفة أبيها وفي يدها قرش ، واتجهت إلى مراد

تشتري منه قطعة حلوى ، فقال سامى :

— الهف فلوس العيال .

فصاح مراد :

— يا ماما حوشى سامى .

فصاح سامى :

— يا ماما ح يعنى الأولاد بيعجب حلاوة زى الزفت .

— مش أحسن م الحلاوه اللى بتجيبها ؟

فقال سامى وهو يحاول أن يأخذ الحلاوة من يد سوسن :

— دى وساخه ..

فقالت له سوسن وهو تبعد يدها عنه :

- وانت مالك ؟
والتفت سامى إلى مراد وقال :
— فيه خمسة صاغ تكسب خمسة وعشرين قرش ؟. دا نصب .
وارتفع صوت الأم :
— ما بس بقى يا سامى .. لازم تسمعوا حسنا للجيران ع الصبح ؟
واستمر سامى فى هجومه :
— ح يعمل إيه بالفلوس دى كلها ؟ أهو بكره يركب بيها عجل
ويقطع هدومه .
وهتفت الأم فى ضيق :
— ما تقوم لولادك دول .. دى حاجه تقصر العمر .
وخرج الأب من غرفته ، وقال فى هدوء :
— ما بس بقى . يالآ البس انت وهو مافيش وقت .
وسار سامى إلى دورة المياه ، وسرعان ما ترددت أصوات طرقاته على
الباب ، وذهب عاطف إلى الصوان يعبث فى محتوياته ، وخلع مراد
جاكتة البجاما وألقاها على الأريكة الموضوعة فى الردهة ، وراح يخلع
بنطلونها وهو فى سيره ، ثم ألقاه على كرسى وغاب فى غرفته قليلا ، ثم عاد
يصبح :
— مش لاقى فردة الجزمة .
وراح مراد يزحف على الأرض وينظر تحت المقاعد منقبا عن حذائه ،
ودخلت سوسن غرفة أمها وقالت :
— مش لاقية المشط .

وصاح مراد :

— المشط أهه تحت الكنبه ، أمال الجزمة فين ؟

فقالت سوسن :

— شفتها ع الترايبزه في الأوضه المفروشه .

وأقبلت نبيلة على أطراف أصابعها ، ومرت في حركة راقصة بعاطف دون أن تلتفت إليه ، ثم انسلت إلى غرفتها كالطيف وقد بدأت في خلع جاكته البيجاما .

وخرجت سوسن إلى حيث كان مراد ، وأخذت المشط الذى أخرجه من تحت الأريكة ووضعتة فوقها ، وراحت تمشط شعرها وهى فى طريقها إلى المرأة ، ومرت بعاطف ، ورأت ما يفعله ، فانطلقت إلى أمها مسرعة ، وهى تصيح :

— ماما .. ماما .. الحقى عاطف .

— ماله ١؟

— بدر علبه الخيط .

فأسرعت الأم إليه فإذا بخيوط حمراء وصفراء وسوداء قد التفت على يده ، وامتدت منها إلى البكر المبعثر على الأرض ، فضربته على ظهره ، وهى تقول :

— هو انتو قروود !

وراحت تلتقط البكر وتلف كل خيط على بكرته .

وقامت أحلام من نومها تتمطى ، ولحقتها نبيلة فى المرأة وهى ترتدى ثياب المدرسة وتصفف شعرها ، فوجدت الفرصة سانحة لتتحدث ،

فاندفعت تحدثها عن المدرسة والمدارس والمدرسين ، وكانت تتكلم بحاجبيها وعينيها ويديها ، وتطول وتقصر وتمثل ، وتلفتت أحلام في الغرفة فألفت ثياب نبيلة المنزلية مبعثرة هنا وهناك ، فقالت وهى تنهض :
— ما تعلقى هدومك .

فتلفتت نبيلة في الغرفة ، ثم قالت وهى تسرع بالهرب :
— اتأخرت قوى ..

فقالت أحلام وهى تلتقط بنطلون بيجامة نبيلة من الأرض .
— طول عمرك زواغه .

وذهبت نبيلة إلى حيث كان أبوها ، وقالت له :
— عايزه خمسه وعشرين قرش .
— ليه كمان ؟

— ح نروح رحله لسقاره .

وبلغ ذلك الحديث مسامع سامى ، فخرج من غرفته مسرعا ، وهو يرتدى القميص ويدس رجله فى البنطلون ، وصاح :
— ما تديهاش يا بابا .

فالتفتت إليه نبيلة فى غضب ، وقالت له مزجرة :
— وانت إيش حشرك ؟

ولم يأبه لا اعتراضها ، بل استمر فى وسوسته :
— عايزه تجرى على حل شعرها مع البنات المايعة .
وقالت نبيلة فى صوت نختقه العبرات :
— عاجبك يا بابا قلة الأدب دى ؟

واستمر سامى فى هجومه :

— لو سمعت كل واحد فى فهم وهى بتتلق الضحكه ..

وصاحت الأم فى حدة :

— وبعدين معاكم ؟! دا ما بقاش بيت .. دى سراية مجانين .

ولم يزدجر سامى ، بل ازداد عنادا ، ورأى أبوه أن يهاجمه حتى يسكت ، فمد يده إلى الكرافنة التى فى عنقه وقال وهو يعبث فيها :

— هونت مش ح تخلى لى حاجه ألبسها أبدا ؟! الشرابات وقطعتهم ،

والمناديل وضيعتهم ، ح تندارع الكرافتات ؟

فقال سامى فى هدوء :

— ما عنديش كرافتات .. هات خمسين قرش اشترى كرافته .

فصاح أبوه فى وجهه ليعده ، حتى لا يلح فى طلب النقود :

— طب غور من وشى .

وانسحب سامى فى هدوء ، وهو يسوى الكرافات ، ودنت سوسن

من أبيها ترقبه ، فلما رأته يمد يده فى جيبيه ويعطى نبيلة خمسة وعشرين

قرشا تشجعت وقالت :

— وأنا عايزه عشرة صاغ .

— علشان إيه ؟

— أشترى مسطره وكراسه وعلبة ألوان .

فصاحت الأم وهى تضع الحلمة المطاط فى فم هالة :

— هو كل يوم علبة ألوان ! فىن العلبة اللى جبتها أول امبارح ؟

— كسرها عاطف .

(أم العروسة)

- فقال الأب في هدوء :
- العصر أجيب لك الكراسية والمسطرة وعلبة الألوان .
- فقالت في بكاء تمثيلي :
- وأنا مالى .. عندنا رسم أول حصه . الأبله تضربنى .
- وناولها الأب عشرة قروش ، ورأى مراد سهولة دفع النقود فأقبل وهو يصيح من حنجرته :
- وأنا عايز فلوس المجموعة ، الأستاذ طلبها امبارح قلت له بكره .
- فقال الأب :
- والنهارده قل له بكره .
- فقال مراد وهو يلوح بيده في ضيق :
- إيه ده ؟
- ونظرت أمه إلى حذائه الأصفر الذى ذهب لونه ، وقالت له :
- دى جزمه تخرج بيها ؟
- ما قلت لكم عايز جزمه ما رضيتوش .
- فقالت له الأم في ضيق :
- حرام عليك دى ما بقلهاش شهر ، روح امسحها .
- ما فيش ورنيش .
- والعلبه اللى اشتريتها امبارح ؟
- خلصت .

ولم ينتظر في الغرفة ، بل انسحب يائسا ، ونظرت الأم خلال الباب ، فلمحت أحلام تلتقط ملابس لإخوتها المبعثرة في الردهة ، وتعيد

تنسيق الأثاث فنادت :

— أحلام ، املى القلل واعملى الشاى .

وأقبلت نبيلة من غرفتها ، وقد وضعت حافظة كتبها على عجزها ،
وأسندتها بذراعها ، ودنت من أحلام وقالت لها :

— اشتغلى ما دام قعدتى فى البيت .

فالتفتت إليها أحلام وقالت :

— بكرة تقعدى فى البيت انت رخره .

فقالت نبيلة فى تمثيل ، وهى تسير فى خطوات راقصة :

— لا .. دا مستحيل .. أنا ح ادخل الجامعة .

وخرج سامى من غرفته وقد أتم ارتداء ملابسه ، فقال وقد اتخذ هيئة
رجل :

— دا بعدك .

فصاحت نبيلة :

— يا ماما . خلى الشيخ أبو العيون ده يسكت .

فقالت الأم :

— هو لولا العربيه اللى بتيجى تاخذك من باب البيت وتحبك لباب

البيت كنت وديتك المدرسه ؟

وقال الأب لينهى هذه المناقشة قبل أن تستخدم :

— أمال عاطف فى ؟

فقالت سوسن :

— نزل الشارع .

فقال لها الأم :

— انزلى هاتيه .

— أنا اتأخرت ، راحة المدرسه .

— ماتنزليش قبل ماتفطرى .. عندك جنبه رومى فى التلميه ، اعملى

يانبيله لأختك سندويتش .

وتحركت نبيلة إلى المطبخ تتبعها سوسن ، وسرعان ما لحق بهما سامى ومراد، وامتدت الأيدى إلى وعاء الخبز، ثم امتدت فى تسابق إلى الصحيفة التى وضع فيها الجبن، فكأنما جراد نزل بحقل ولم يغادره إلا بعد أن أصبح بيابا فقرا! وارتفع صوت بوق سيارة ، فصاحت نبيلة وهى تجرى :

— عربيتى .

وراح سامى ومراد وسوسن ينسلون من المطبخ فى طريقهم إلى الباب الخارجى ، وصاحت سوسن قبل أن تخرج :

— ماما .. الحقى ، خلصوا الجبنه .

فأسرعت الأم إلى المطبخ وهى تقول :

— ييقى جنان .. وانا لسه مشتريها امبارح .

ونظرت فوق بصرها على آثار المعركة ، فئات من الخبز تناثرت على المنضدة القريبة من التلمية ، وصحفة خالية وورقة كانت الدليل الوحيد عن أنه كان ملفوفا بها شىء دسم ، وضربت كفا بكف وعادت إلى حيث كان زوجها وقالت :

— خلصوا الجبنه .

فقال فى هدوء :

— خليفهم ياكلوا .

فقالت فى استنكار .

— ياكلوا ! مش ناقص إلا ياكلونا .

وكان الزوج قد أتم ارتداء ملبسه ، فنظر فى ساعته وتحرك خارجا من
الغرفة ، فصاحت الأم :

— أحلام ! هاتى الشاى لبابا واقلى له بيضتين يفطر .

فقال الأب وهو سائر وزوجته خلفه :

— وانتو مش ح تفطروا ؟

— لسه بدرى . لما نخلص مرار الشقه .

وجلس على الأريكة الموضوعة فى الردهة ، وأسرعت الزوجة
ووضعت أمامه منضدة صغيرة .

وجاءت أحلام تحمل كوبا من الشاى ، وجلست الزوجة بالقرب
من زوجها ، وقالت :

— ح تتغدوا إيه النهارده ؟

— أى حاجه .

وبدأ يرتشف الشاى ، فقالت :

— ما تدوخوناش .. شوفوا تاكلوا إيه ؟

وارتفع صوت أحلام من المطبخ :

— فاصوليا بيضه .

فقالت الأم فى استنكار :

— ما احنا لسه طبخينها أول امبارح .

فقال الأب :

— اعملوا صينية بطاطس .

فقال الزوجة معترضة :

— هو ما فيش إلا الفاصوليا والبطاطس ؟

فقال الزوج :

— اطبخي اللي على نفسك .

— لا ماتخيرونيش .. قولوا تاكلوا إيه ؟

وأقبلت أحلام تحمل صينية صغيرة ، عليها رغيف وصحفة من
الألومنيوم قلى فيها بيضتان ، وغطاء علبة بلاستيك وضع فيه الملح ، وطبق
فنجان شاي فيه قطعة صغيرة من الجبن الأبيض ، ووضعت الصينية أمام
أييها .

ومد الأب يده إلى الرغيف ، وإذا بصوت ارتطام حذاء صغير بالباب
الخارجي يتتابع ، فقامت الأم لأحلام :

— افتحي .. عاطف طلع .

وأسزعت أحلام إلى الباب وفتحته ، فدخل عاطف ، وجرى إلى
حيث كان أبوه ، ونظر في الصينية وقال :

— بتاكل إيه ؟

— بيض .. تعالى كل .

فقال عاطف وهو يهز أكتافه :

— لأ .. أنا عايز بيضه صحيحه لوحدى .

فقال الأم لابنتها :

— عندك بيض ؟

— أبدا .

فالتفتت إلى عاطف وقالت له :

— اطلع شوف بيضه عند الفراخ .

وتحرك عاطف ، وقالت له أحلام :

— وإذا ما لقيتش بيضه ، استنى فوق لما الفرخه تبيض .

فقالت الأم فى حنان :

— ليه كده يا بنتى .. دى الشمس تقوره .

— لسه الشمس ما جتش فى السطح ، خلىنا نستريح شويه .

وبكت هالة ، فأسرعت الأم إلى حيث ترقد وهى تقول :

— والله ما ح نستريح أبدا .

ودخل عاطف المطبخ ، وأخذ كرسى مطبخ صغير ، وحمله على

كتفه ، ثم سار منطلقا نحو السطح .

كانت عشة الدجاج مصنوعة من سلك وخشب قابعة فى ركن

من السطح ، فذهب مهرولا إليها ، ونظر من خلال السلك ، وأدار

عينيه فى العشة ، فلم يجد بيضا ، فوضع كرسى المطبخ بالقرب من

العشة ، وجلس وقد أسند خده بكفه ، ينتظر أن تجود عليه دجاجة

بيضة !

وانتهى الأب من تناول الإفطار ، وتأهب للخروج ، وإذا

بزوجته تقترب منه ، وقد حملت هالة على ذراعها ، وتقول

له :

— ما قلتش ح تتغدوا إيه النهارده .

وأسرع هاربا وهو يقول :

— أى حاجه .

وأغلق الباب الخارجى خلفه ، فقالت الزوجة فى ضيق :

— والله بطننا دى محيرانا .

الفصل الثاني

أخذت الشمس في الارتفاع ، وأرسلت أشعتها الحامية ، وعاطف جالس على كرسي المطبخ بالقرب من عشة الدجاج ، يتململ في جلسته ، ويجفف عرقه بيده ، دون أن يتطرق اليأس إلى قلبه .

وارتفع صياح دجاجة ، فإذا بعاطف يقوم مسرورا ، ويذهب إلى العشة ينظر من خلال السلك ، فيرى الدجاجة تبيض ، وراح يغدو ويروح أمام العشة في قلق الوالد الذي ينتظر وليده الأول !

وراح صوت الدجاجة يخفت ، فتيقن من أن البيضة تم وضعها ، اكتسب خبرة من ممارسته الانتظار الطويل بالقرب من العشة ..

وفتح باب العشة ، ودخل فإذا بالدجاج يفر منه مذعورا ، وإذا بصيحات الفزع ترتفع متتابعة ، فلم يلتفت إلى ما يجري حوله ، بل سار إلى هدفه والتقط البيضة وخرج .

وهبط في الدرج مسرعا ، حتى إذا وصل إلى باب الشقة ، أخذ يركله بقدمه ، فأسرعت أمه تفتح له الباب وفي يدها مغرفة بها أثر اللبن .

ونظرت إليه فألقت الدم يكاد يفر من وجهه . فمالت تضمه إلى

صدرها بيدها الخالية وتقول في حنان:

— يا حبيبي ! كنت في السطح في النغره دى ؟

فقال في فرح وهو يرفع يده بالبيضة :

— جيت بيضه .

— طب روح لأحلام تسلقها لك .

وأسرع إلى المطبخ ، وعادت إلى حيث كانت ، راحت تغرف من حلة نحاس لبنا تضعه في أوعية بلورية ، وعاد عاطف إليها ورفع رأسه وسأل :

— بتعملي إيه يا ماما ؟

— مهلبية .

ولم ينتظر طويلا ، بل سحب كرسيها ، ووضعها بالقرب من « البوفيه » الذي صفت فوقه أوعية البلور ، وراح يتسلقه ، فقالت له أمه في زجر :

— ابعد .. الحلة تقع عليك .

— أشوف .

ووقف فوق الكرسي ينظر ، ولم يطق صبرا ، فمد يده يحاول أن يأخذ المغرفة من أمه ، فقالت :

— عايز إيه بس ؟

— هاتى اغرف انا .

فصاحت الأم :

— أحلام . تعالى خدى أخوكى ادى له البيضه بتاعته .

وأقبلت أحلام ، ترتدى ثوبا بسيطا ، فوقه « فوطة » من البلاستيك ، ويقطر الماء من يديها ، وأرادت أن تجفف يديها في « الفوطة » ، ولكنها أخفقت فما كان البلاستيك ليمتص الماء ، فجففتها

في طرف ثوبها ، ثم لفت ذراعها حول وسطه ، وحملته بين ذراعيها وعجزها ، وسارت به وهو يهز رجله سرورا .

انطلقت به إلى المطبخ ، ووضعت على كرسي أمام المنضدة ، وأحضرت له البيضة ، وهمت بتقشيرها ، وإذا به يمد يده ويأخذها منها ويقول :

— أنا اللي أقشرها .

وراح يقشرها ويرمى بالقشر على الأرض ، وأحلام غافلة عنه ، فقد تحركت تحضر له كسرة خبز ، وعادت بالكسرة ، ورأت القشر على الأرض ، فقالت في زجر :

— وبعدين معاك .. هو احنا مش ح ننضف أبدا !

ووضعت كسرة الخبز أمامه ، وانحنى تلتقط القشرة من الأرض . ولاحظت تساقط فتات صفار البيضة ، فرفعت رأسها تنظر إليه ، فألقت عاطفا قد وضع البيضة كلها في فمه ، وأخفق حلقومه في ابتلاعها !

وأسرعت تملأ كوب ماء ، ثم عادت إليه مهرولة وهي تقول :

— اشرب .. ح تموت نفسك .

وشرب ، واختلط الماء بصفار البيضة في الكوب ، فقالت أحلام في

تقزز :

— أنا عارفه إيه القرف ده !؟

فقالت أمها وهي عائدة إلى المطبخ تحمل الحلة الفارغة والمغرفة:

— آهو كلكم اتربيتوا بالمرار ده ..

وغادر عاطف المطبخ ، وذهب إلى الكرسي الذى وضعه بالقرب من « البوفيه » وتسلقه ، وراح ينظر فوجد أن أمه قد وضعت زيبيا وفستقا على سطح المهلبية ، فأخذ يلتقط الزبيب والفستق ويلقى بهما فى فمه ، ولم يكتف بذلك بل راح يعبث بأصبعه فى المهلبية .

وجاءت أمه ، ورأت فعلته فحملته بين ذراعيها فى غضب ، ووضعتة على الأرض فى شدة ، وهى تصيح فيه :

— غور من وشى قبل ما اقطم رقبتك .

وراحت تصلح-ما أفسد ، وسرعان ما تجاوب رنين الجرس ، فهرعت إلى الباب وفتحته ، فإذا بسوسن قد عادت من مدرستها ، فقالت لها أمها زاجرة :

— مش ح تبطلى تحطى صباعك ع الجرس على طول ، والله لو صحيت هالة ما حد ح يشيلها غيرك .

فحركت كتفها فى عدم اكتراث ، واتجهت إلى غرفتها لتبدل ثيابها . وفيما هى فى سيرها لمحت عاطفا يعبث فى « التواليت » فعادت إلى أمها مهرولة وهى تصيح :

— ماما .. ماما .. الحقى عاطف دلقي البودرة ، وحط الفيزلين فى راسه .

— أبعديه .

— مش عايز .

وأسرعت الأم إلى عاطف ، تبعده عن التواليت ، وتجمع البودرة المندلقة ، فإذا بهالة تستيقظ ، وتبدأ فى البكاء ، فقالت الأم :

— سوسن .. سكتى أختك .

فذهبت سوسن إلى هالة وحملتها ، ورفعت الأم عاطف بين يديها ،
وذهبت به إلى الحمام ، ولحمت سوسن فيلا من الجلد على ظهر الصوان ،
فخطر لها أن تحضره لتلاعب أختها به ، فوضعت هالة على حافة السرير ،
وجاءت بكرسى ووضعت به بجوار الصوان ، ووقفت فوقه ولكنها لم تصل
إلى الفيل ، فجاءت بصفحة بها « قرايش » وبسكوت ووضعتها فوق
الكرسى وتسلفت حافة الكرسي في حذر ، وهمت بالوقوف فوق
الصفحة ، فإذا بها تسقط على الأرض ، وقد أحدثت دويا ، وتناثر
البسكوت والقرايش ، ففزعت سوسن ، وهرولت فرارا من أمها إلى
السطح . وتركت الأم عاطفا ، وأسرعت ترى ماذا جرى ، وهى
تصيح :

— يا شياطين .. يا ملاعين .. يا قرود .

وصاح عاطف من الحمام فى بكاء :

— الصابون يبحرقنى فى عينيه .

فنادت الأم وهى فى عودتها إليه :

— أحلام .. تعالى لى القرايش والبسكوت .

وقالت أحلام فى صوت عال :

— ولما الحلله إلى النار تشيط !

وذهبت إلى الحمام ، وراحت تغسل لعاطف وجهه ويديه وإذا بهالة

تضج بالبكاء فارتفع صوت الأم :

— بس .. بس .. أنا جايه أهو .. أنا عارفة يا رب ليه دوختنى ..

وزهبت إلى هالة وحملتها ، ثم راحت تجمع ما انتثر من البسكويت والقرائش ، وجاء عاطف خلفها ، فقالت له :
— لم معايا .

فانحنى عاطف ، والتقط بسكويتة ووضعها في فمه ، فقالت له في حنان : .

— باقول لك حط البسكويت في الصحيفة مش في بطنك .
وتهللت أسارير عاطف ، وعكف على التقاط ما انتثر ووضعها في الصحيفة .

وأطمأنت سوسن إلى أن ثورة أمها قد خمدت ، فعادت إلى المطبخ ، وراحت تعبت بالقرب من النار ، فقالت لها أحلام :
— ابعدي قبل النار ما تمسك في شعرك .
فتأخرت خطوات ، وما لبثت أن تقدمت إلى النار ، وفي يدها عود من قش المقشة تدنيه منها ، فصاحت أحلام بها :
— اخرجي من هنا .

وخرجت سوسن مطأطئة الرأس ، وجلست على الأريكة ، ولم تطق الصمت طويلا ، فتلفتت فوق بصرها على المقص ، فتناولته وأحضرت صحيفة ، وراحت تقصها « عرائس » وما انقضى طويل وقت حتى كان المكان قد غطي كله بقصاصات الورق .

وخرجت الأم من غرفتها تحمل هالة ، ويسير خلفها عاطف وقد أمسك بملابسها ، فرأت قصاصات الورق تغطي الأرض ، فصاحت :
— يا مقصوفة الرقبه ، والله لانا عدماكى .

فتركت سوسن المقص، وأطلقت ساقها للريح، وراحت تعدو نحو السطح، وأخذت الأم تجمع القصاصات، ولمح عاطف المقص فتناوله، وحاول قص غطاء الأريكة، ولمحته أمه، فأسرعت تنتزع منه المقص وهي تصيح :

— هو انتو عفاريت، اخلصى يا أحلام، وخدى هاله شويه .

— ح انزل الحلله وجايه .

وجاءت أحلام وحملت هالة، وذهبت الأم لتلقى قصاصات الورق ثم عادت وقالت لأحلام :

— خدى اخواتك فى أودتكى لما أريج شويه .

وأخذت أحلام هالة وعاطف، وذهبت إلى حجرتها بينما تمددت الأم على الأريكة، ولفت ذراعها فوق وجهها، وما كادت تنعم بالاسترخاء حتى أقبلت سوسن صائحة :

— ماما .. ماما .. الحقى مراد بيتخانق مع ثلاث اولاد .. ح يموت

فى إيديهم .

وهبت الأم من رقتها، وخفت إلى الشرفة فإذا بها ترى ابنها بين ثلاثة أولاد، قد ضربوا حوله نطاقا، إذا دفع أحدهم ليشق طريقه بينهم، دفعوه الثلاثة مرة واحدة، فيختل توازنه ويترنح، فلم تطق صبرا بل صاحت فى الأولاد :

— ما تسييه يا واد انت وهو .

فقال أحدهم وهو يرفع رأسه إليها :

— خليه يدينا البرايه بتاعتنا .

— ما تديهم البرايه يا مراد .

فقال مراد متشجعا لما سمع صوت أمه :

— مش ح اديها لهم إلا لما يدوني المسطره والقلم الرصاص .

ولمحت سامى مقبلا ، فهتفت :

— سامى . هات اخوك واطلع .

ودنا سامى منهم ، فقال له مراد :

— واخدين منى المسطره والقلم .

فقال الثلاثة معا :

— وهو واخذ منا البرايه .

فقال سامى :

— هات البرايه .. هاتوا القلم والمسطره .

وناولهم المبراة ، وأخذ منهم المسطرة والقلم ، ودفع أخاه أمامه وهو يقول له :

— ياللا يا خايب .

فصاح فيه مراد :

— إيه .. ما لكش دعوه بيه .

وقالت الأم لهما من الشرفة :

— اطلع انت وهو ، واللا عايزين تفرجوا الناس علينا !

وعادت إلى الأريكة ، وتمددت فيها ، وداعب الوسن عينيها ،

واستشعرت طعم الراحة ، وإذا بأصوات مراد وسامى وسوسن تمتزج

وتصلك أذنيها صككا فتصيح دون أن تفتح عينيها :

— ما بس بقى .. هو ما فيش فى البيت ده راحه ؟
واستأنفت نومها ، ولكن سرعان ما أقبلت سوسن ، تقول :
— ماما .. ماما .. آكل .
ودفعتا بيدها لتبعدها عنها ، وإذا بعاطف يقبل هاتفا :
— ماما .. جعنا .
فنادت الأم :
— أحلام ، تعالى أكلى اخواتك .
وأقبلت أحلام ، ودفعت بهالة إلى مراد ، وانسلت الأم إلى غرفة
نومها ، وارتمت فى سريرها .
ووضعت أحلام لعاطف قليلا من الأرز فى صحيفة صغيرة ، ورشت
فوقه ملوخية ، وأرادت أن تطعمه ، ولكنه أصر على أن يأكل وحده ،
فتناول الملعقة وجعل يعبث فى الأرز ، وطلبت سوسن أن يغرف لها
الأرز وحده ، والملوخية وحدها ، ثم قالت :
— وحطى لى حطة لحمه سمينه .
فقالت أحلام فى زجر :
— وطى صوتك بلاش قلة أدب .
ونظرت سوسن إليها فى دهش ، فما كانت تدري ما الخطأ الذى
ارتكبته . وتناثر الأرز على صدر عاطف ، وعلى المنضدة ، وعلى
الأرض ، ولما امتلأ راح يقرع الصحيفة بالملعقة .
ونادت أحلام :
— مراد .. سامى .. أغرف لكم ؟
(أم العروسة)

فقالا معا :

— لأ .. لما يبجي بابا .

والتفت سامى إلى مراد وقال له :

— ح تاكل معانا بإيديك الزيت دى ؟. روح اغسلهم .

— طب خد هاله .

— وانا مالى .

فوضع مراد هالة على الأريكة ، وذهب يغسل يديه ويحاول أن يزيل
الحبر منهما دون جدوى ! وارتفع بكاء هالة ، فتململت الأم فى رقدتها ،
وخرجت أحلام من المطبخ تحمل عاطفا وقد تلوث وجهه وثيابه
بالملوخية ، وقالت لسامى ، الذى خلع ثيابه ووقف بفانلة سبور
وينظلون البيجاما :

— سكت هاله .

— وانا مالى .

— طب خد عاطف شطفه .

— آمال انتم بتعملواياه فى البيت ؟

— طب اسكت بلاش غليه .

وارتفع صوت مراد وهو يغسل يديه مشتركا فى الحديث :

— كفايه عليه يعمل ريس فى البيت .

وصاحت الأم من غرفتها :

— والله يا سامى إن ما شلت أختك لقايمه ومخليه نهارك زى وشك .

وخرجت سوسن من المطبخ ، وحملت هالة ، فصاحت أحلام فيها :

— بتشيلها بإيديكى الوسخه !
فوضعتها سوسن على الأريكة ثانية وهى تقول :
— أنا مالى . الحق على .

كان مراد قد يمس من تنظيف يديه ، فمسحهما تحت إبطيه وأسرع
يحمل هالة .

وسارت أحلام إلى الحوض ، وهى تبعد وجهها عن يدي عاطف ،
فقد كان يحاول أن يعبث بشعرها بيديه الملوئين بالملوخية .
ورن جرس الباب الخارجى ، فذهب سامى إليه فى تودة وفتح
فاندفعت نبيلة داخله ، وهى تطوح حافظة كتبها فى يدها ، وراحت
تتحدث :

— يا سلام لو شفتى الى عملناه النهارده فى أبو الأسود الدؤلى ، دخل
الفصل وقال لنا : « العواف » قلنا له : « الله يعافيك يا افندى » قال :
« درس النهارده فى المفعول لأجله » قلنا له : « ما تحكى لنا الروايه الى
شفتها فى السينما امبارح أحسن يا افندى » قال : « إيش عرفكم انى كنت
فى السينما ؟ » قلنا له : « أمانى شافتك يا افندى ، وبالأماره كنت قاعد
قدام خالص يا افندى » قام قال : « أنا باقعد قدام علشان نظرى
ضعيف » قلنا له : « بقى مش علشان آخر الشهر يا افندى ؟ »
وكانت نبيلة قد وصلت إلى باب غرفتها ، فقال لها سامى :

— ما كفايه بقى ، اقفلى الراديو ده .

فالتفتت إليه نبيلة وقالت فى حركة تمثيلية :

— وانت مالك يا بايخ ! هو انا باحكى لك ؟

— أmaal بتحكى لمن ؟

— باحكى لأحلام .

ورن جرس الباب الخارجى ، فصاحت سوسن وهى تهول نحو
الباب :

— بابا جه .

وتخلص عاطف من يدى أحلام وراح يجرى خلف سوسن ، وهو
يصيح :

— أنا الى افتح له .

واستبقا إلى الباب ، وفتحته سوسن قبله ، فراح عاطف يسبها :

— يا قليلة الأدب .. يا سافله .

وقبل أن يستمر فى سبابه ، لمح أباه يحمل كيسا ، فأسرع إليه وقال
له :

— إيه إلى معاك ده ؟

— حاجه حلوه .

— طب ورينى .

— لما ادخل .

— طب هات اشيلها .

فقالت سوسن :

— لأ أنا الى اشيلها .

وأسرع سامى ومراد وهو يحمل هالة ليريا ما الذى أحضره أبوهما .
ودخل الأب إلى غرفته ، وأبناؤه خلفه حتى أحلام ونبيلة لحقتا به ،

واعتمدت الأم في السرير ، وقالت :

— إيه ده ؟

فقال الأب في نشوة :

— تفاح .

فقالَت الأم وهي تغادر الفراش ، وتمد يدها إلى الكيس لتستولى

عليه :

— ما لوش لازمہ النهارده . عندنا مهلييه .

فصاح عاطف وسوسن ومراد وسامى :

— احنا مالنا عايزين تفاح .. تفاح .

وقالت الأم في استسلام :

— أحلام هاتى السكينة .

وذهبت أحلام وعادت بالسكينة ، وأخذت الأم تشق كل تفاحة

نصفين ، وتدفع إلى كل من أبنائها نصف تفاحة ، فغضب عاطف

وقال :

— ما اخدش نص ، أنا عايز تفاحة بحالها .

فصاحت الأم في غضب :

— ما فيش الا كذه .

وغضب عاطف وخرج من الغرفة يبكى وأبوه يتبعه بعينيه فى أسى ،

كان يريد أن يدخل البهجة على قلوب أبنائه ، فإذا به لا يجلب معه إلا

النكد .

وأخذ كل منهم نصف تفاحته وهو صامت ، وإن كانت وجوههم

تنطق بعدم الرضا ، وقالت الأم :

— خلوه لبعد ما تاكلوا حلوا ييه .

ولكن مراد وضع نصف التفاحة في فمه ، وراح يلوكها ، وقالت
الأم :

— أحلام .. نبيلة وضبووا السفرة .

وخرجت أحلام ونبيلة يتبعهما سامي ومراد ، وجاء عاطف يتمسح
ثم قال وهو يمد يده :

— طب هاتي .

ودفعت إليه نصف تفاحته ، وهي تربت على كتفه ، فقال لها :

— مش أنا حلو بقى ؟

فقالت في حنان :

— قمر .

وراح الأب يخلع ثيابه ، ودنت منه وقالت له :

— يا راجل اعقل . بلاش تبذير .

فقال في هدوء :

— دى الحكايه كلها وقه .

— اوعى لنفسك . طالع لك بنات ، ح يعوزوا تقلمهم .

— ربنا هو الى بيرزق .

— والله ما انا عارفه لو واحده فيهم اتخطبت ح تعمل فيها إيه ؟

— يبقى وقتها يعين الله .

— أنا عارفه ما بيعجبكش كلامي . كل واحد ما بيعجبوش الا

عقله ، قال على رأى المثل .

وصممت الأم وتحركت لتغادر الغرفة ، فقال الأب وهو يرتدى
جاكete بيجامته التى تختلف فى لونها عن البنطلون :

— ما تكملى المثل : لو جابوا للمجنون ألف عقل على عقله ما
يعجبوش الا عقله .

فقالت وهى تخرج :

— أنا ما قلتش انت اللى قلت .

وارتفع صوت أحلام :

— اتفضلوا الأكل جهز .

ونادى مراد :

— سوسن تعالى خدى هاله خلىنى آكل .

وأقبلت سوسن وحملت هالة ، وإذا بعاطف يقبل ويجذب سوسن من

ثوبها :

— هاتيها أنا اللى ح اشيها .

وصاحت سوسن :

— ماما .. ماما .. الحقى .. عاطف ح يوقع هاله .

وقالت الأم :

— ادخلوا أودتكم ولعبوها سوا .

وجلس الأب والأم وأحلام ونبيلة وسامى ومراد حول المائدة ،

وامتدت الأيدى فى تودة ، ثم أخذت سرعتها فى الازدياد ، فبدأ أنها كانت

فى سباق ، وإن هى إلا لحظات حتى كانت الصحاف نظيفة كأنما قد

غسلت .

ونهبوا يتسابقون إلى الحوض ، غسلت نبيلة يديها ومراد وسامى خلفها
يتربقان ، ودلفت إلى غرفتها ، فصاح سامى :
— أبوه زوجى .

— وانت مالك ؟

وبلغ ذلك الحوار مسامع الأم ، فنادت :
— نبيلة ، تعالى اغسلى الأطباق دول ، أختك اتهد حيلها م الصبح .
فقالت نبيلة وهى تختفى فى حجرتها :
— يا ماما ورايا مذاكره كثير .

وراحت أحلام تحمل الصحف الفارغة إلى المطبخ ، والأم تهدر :
— إيه الكلام الفارغ ده ، خشى نامى وسيبى الخدامين يخدموكى ،
طب والله العظيم ما ح تغسل أحلام الأطباق دى ، ولو دودوا ، دا ظلم
دا كفر .

ونهب الزوج ، ودخل إلى المطبخ ، وشم عن أكمامه ، وراح يغسل
الصحف ليحسم الموقف ويرمى رأسه !

ودخل كل إلى غرفته ليستريح بعد الغداء ، ودخل الزوجان
حجرتهما ، وأغلقا بابها وعمدا فى الفراش ، وأسلمت الأم جنبها للرقاد .
وما أن بدأت الراحة تمسح بيدها الحنون تعبها حتى أقبل عاطف يدق باب
الحجرة بيديه فى قوة ، فنهضت وفتحت الباب ، وحملته ثم عادت به
وأنامته إلى جوارها ، فسكن قليلا ، وما لبث أن تقلب فى الفراش ،
وأخذ ينظر فى وجهها ، فضايقه أنها مغمضة العينين ، فمد يده

ونفض الزوج ، ودخل إلى المطبخ



يفتحهما ، فدفعت يده تبعدها عن عينيها ولكنه كان كالذباب اللحوح ،
كلما أبعدت يده عن وجهها ، عادت تعيث بعينيها أو شعرها أو أنفها .
ومد أصبعه وأدخله في أذنها ، فنقد صبرها ، فحملته وانطلقت به إلى
حيث كان مراد وسامى وسوسن ، وقالت لهم :
— فين كرته ؟ العبوا معاه .

وقالت سوسن :

— ماما .. خدى هاله .

وقالت الأم وهي تسرع إلى غرفتها :

— اديها لتبيله .

وأغلقت الباب خلفها وارتمت في الفراش ، وانقضت دقائق من
الهدوء وإذا باب الغرفة يفتح ، وصوت سوسن يرن فيها :
— ماما .. ماما .. الحقى .. مراد شاط الكوره طارت ع الشارع .
وكان النوم أعلى من الكرة فلم تنبس الأم بكلمة ، وتقلب الأب
متبرما ، ثم سحب الغطاء وأخفى وجهه وأذنيه ، حتى لا يسمع .
وانسحبت سوسن ، وكأثما عز عليها أن تعود مهزومة ، فقالت
لمراد :

— ماما جايه لك .

ومرت لحظات هنيئة كلها هدوء وصفاء ، تبعها صوت باب يصفق
في قوة ، ثم انهيار زجاج ، فقفزت الأم من نومها مفزوعة ، وانطلقت
مرعوبة ، فإذا بها تجدد عاطفا واقفا وهو مذهول وقد تناثر حوله زجاج
الباب ، وارتفع صوت الأب مستفسرا :

— جرى إليه ؟

— عاطف كسر قزاز الباب .

فقال الأب في ضيق :

— هو كل يوم لوح قزاز ؟

وقالت الأم في راحة :

— الحمد لله ربنا ستر ، لو وقع عليه كان قتله .

وبكت هالة ، فذهبت سوسن إليها وأخذتها من جوار نبيلة ، ثم

انطلقت إلى أمها وقالت :

— ماما .. ماما .. خذى هاله .

فقال الأم في زجر :

— ابعدى دلوقت .. انتى عميتى ؟

— بتعيط .

— ادبها لابوكى .

وعكفت الأم على التقاط الزجاج المتناثر ، وهى تبعد عاطفا عنه ،

وانسلت سوسن إلى غرفة أبيها ، وقالت :

— بابا .. خد هاله .

واستيقظ الأب ، وحمل ابنته ، ثم خرج بها إلى المطبخ ، يعد لها

زجاجة لبن .

وعاد الأب مسرعاً ووضع هالة فى سريرها ، وألقى عليها الحلمة المطاط ،

وطفق ينظر إليها وهى تمتص اللبن فى حنان .

ودلفت الأم إلى الحجرة ، وأغلقت الباب خلفها ، ووقفت ترمق

زوجها وابنتها برهة ، ثم تقدمت منهما وقالت :

— قول لى : بتحب البنت دى قوى كده ليه ؟ .

فقال وهو يتسم :

— بنت الشيبه .

جلست على طرف السرير وقالت :

— إلا الواحد بيعحب آخر ولاده ليه ؟

فاعتدل وقال وهو يفكر :

— يمكن عشان يبقى حاسس إنه ح يتحرم من عطفه بدرى .

ومرر يده بخنان على جسم هالة وقال :

— يا ترى مين اللى ح يريكى ؟

فقال الأم فى سرعة :

— ما ح يريها ويجوزها غيرك .

فقال الأب وقد شرد ببصره :

— مش باين .

فقال الأم وهى تجذبه من طرف ييجامته :

— طيب نام بقى والنبي ما تمغصش بطننا .

وتعددا فى السرير ، ولزم الزوج الصمت ، وظهر القلق فى وجه

الزوجة ، وأرادت أن تنزل الطمأنينة بصدرها ، فقالت :

— هو انت مش زى ابويا ، أبويا عاش لما جوزنا كلنا .. عندك ٤٥

سنة وكان ستاشر سنة لما تتجوز هاله يبقى عندك ٦١ سنة ، مش ح تعيش

٦١ سنة ؟ !

— الأعمار بيد الله .

لما يبقى عندها له ستاشر سنه ح اجوزها على طول ، مش ح استنى
ولا يوم .

— ما تقولش الخطاب واقفين على الباب !

فمدت يدها ومررتها على شعره ، ثم رفعت صدرها وانحنت فوقه ،
وقبلته قبله على خده أودعتها كل حبها .
وأغمضا عيونهما ، وراحا فى سبات .

ونهضت أحلام ووقفت أمام المرأة تصفف شعرها ، ثم فتحت درجا
وأخرجت حلقتها ، ثم صاحت :

— إيه القرف ده ! مين اللى كسر الحلق ؟

فقال سوسن :

— عاطف كان يلعب بيه .

وراحت تعبث فى الدرج ثم قالت :

— فىن السيكوتين ؟

فقال نبيلة ، وهى ترتدى ثيابها ، وتقرب وجهها من المرأة وتتحرك

فى خطوات راقصة :

— كان مع سامى .

وأقبل سامى متحديا :

— كنتى شوفتينى خدته ؟

— مش كان فى إيدك الصبح !

— ما تبطل الكذب بأه .

— ما حد كذاب غيرك .

ونظر إليها مليا وقال :

— وبتزوق وراحه على فين ؟

— مش شغلك .

واستيقظ الأب والأم على صياحهما ، ولكنهما ظلّا في الفراش

ينصتان ، وقالت أحلام :

— نبيله جايه معايا ، رايحين نزور فايزه صاحبتى .

فاتخذ سامى هيئة رجل وقال :

— ما عندناش بنات يخرجوا لوحدهم .

فقالت نبيلة فى ضيق :

— وانت مالك يا بايخ ؟

فقال سامى فى إصرار :

— إذا كانت أحلام ح تروح لفائزه أنا ح اروح معاها .

وهز الأب رأسه معجبا ، ورفت على فمه بسمه رضا ، وتحركت الأم

فى فراشها وجلست متحفزة ، وارتفع صوت نبيلة متحديا :

— ح اروح غصب عنك ..

— مش راحه .

وصاحت نبيلة :

— هو انت ابويا ؟!

وقال الأب لزوجه :

- ما تخرجى لاولادك دول .
- زقنى وخليك بعيد ، لما العيال كرهتنى .
- وصاحت نبيلة :
- يا ماما ، ما تحوشى الشيخ ابو العيون ده !
- وقالت الأم وهى تفتح الباب :
- دانتو بنتين ، ترجعوا فى الضلمه لوحدكو ازاي ؟
- فقالت نبيلة فى ثورة :
- وفيها إيه يعنى ما دام أنا واثقه من نفسى ؟!
- وقال سامى ساخرا :
- واثقه من نفسى !.
- ودارت نبيلة على عقبها ، والتفتت اليه متحدية وقالت :
- آه واثقه من نفسى ، آمال زيك .. ح تسكت والا اتكلم
- انسفك ؟
- فقال سامى فى تخاذل :
- ح تقولى إيه يعنى ؟
- ونهض الأب ووقف بالقرب من الباب يصغى .
- ح اقول ع السجائر اللى بتشربها .
- وخرج الأب من غرفته ليشارك فى المعركة ، وقال :
- سجائر ؟ والله عال مش فاضل الا السجائر !
- وصاحت الأم :
- إياك نكفيكو عيش ، قال سجائر قال .

وأحس سامى أنه وقع فى المصيدة ، فقال صارخا .
— كدابه .. والله كدابه ..

فقالت نبيلة ، وهى تدنى وجهها منه فى حركة تمثيلية :
— والسيجاره الى كنت بتشربها بالليل ؟

— دى سيجاره حلاوه اشتريتها من مراد ؟
فقال مراد فى بساطة :
— أبدا .. ماحصلشى .

فتار سامى وقال :

— يا كداب .. بتنكر عشان تبقى تشتري منك !

فقال مراد وهو يهز كتفيه :

— ما خلاص التجاره فلسـت .

فقالت له أمه فى زجر :

— قول الحق .

فقال مراد وهو يبتسم :

— الحق .. الحق .. أنا اللي اديته السيجاره .

فلطمته أمه على وجهه وقالت :

— أمال بتكدب ليه ؟

فقال مراد وهو يتحسس وجهه بيده .

— الحق على اللي قلت الحق .

وقالت الأم :

— إذا كانت أحلام خارجه ما حدش ح يخرج معاها الا سامى .

فقال نبيلة في غيظ :

— يا سلام ! عشان ما هو ولد ؟

فقال لها سامى وهو يخرج لها لسانه :

— راجل .

واتجهت نبيلة إلى أحلام وقالت لها :

— طب هاتى بلوزتى بقى .

فقال الأم :

— وبعدين معاكى يا نبيله ؟

— مش عايزه حد يلبس هدومى .

فقال سامى وهو يرتدى ملابسه ، ويسرح شعره :

— لو كنتى ح تروحي معاها كنتى اديتها لها .

— ما لكش دعوه يا بايخ .

خلعت أحلام « البلوزة » وألقت بها في وجه نبيلة ، وراحت ترتدى

بلوزة أخرى ، وانتهى سامى من ارتداء ملابسه . ودخل غرفة أحلام

فرآها تمرر أصابعها على شفيتها فقال لها :

— إن حظيتى أحمر فى شفايفك مش ح امشى معاكى .

فقال له نبيلة :

— جتك القرف فى شكلك .

فأخرج لها لسانه ، فتركت له الغرفة وانصرفت .

وتحرك سامى وأحلام ، وسار عاطف خلفهما ، حتى إذا ما فتح

الباب تقدم عاطف ليخرج ، فصاحت سوسن :

(أم العروسة)

— ماما .. ماما الحقى . عاطف نازل الشارع .

— سيبه يتهوى .

واغتاضت سوسن ، فقالت :

— أنا مالى .. أهو دلوقت يوسخ هدومه .

وذهبت إلى حافظة كتبها القماش وحملتها واتجهت إلى حيث ذهبت

نبيلة . ولحمت مراد يعث في الصوان ، فقالت له :

— مش ح تذاكر ؟

فقال لها بصوته المنبعث من حنجرتة ، وقد نفرت عروق رقبتة :

— إيه ! ما ادينى بدور على كراسى فاضى أهو .

وعثر مراد على الكراس ، وانطلق خلف سوسن .

وتحرك الأب ليغادر غرفته ، وقبل أن يخرج التفت إلى زوجته وقال

لها :

— وراكى إيه النهارده ؟

— المزار الى ما بيخلصش ، ح اخيط شرابات العيال ، واركب لهم

الزراير .

وبدأت تحمل كومة من القمصان ، وعلبة رصت فيها الجوارب

الممزقة ، وقال الزوج :

— أنا ح اقرا الجرنال .

— لأ . وراك شغل كتير .

— ورايا إيه ؟

— جزم وصنادل العيال عايزين يصلحوا أهم عندك ورا الباب :

ونظر خلف الباب ، فرأى صندوقا من الورق المقوى ، تكدست فيه أحذية الأولاد وصنادلهم ، فحمل الصندوق ، وانطلق إلى الردهة الخارجية ، ووضع الصندوق على الأرض ، ثم اتجه إلى المطبخ ، وأحضر كرسيا قصيرا صنع من الخشب ، وعلبة صفيح بها خيط وسكينة أحذية وإبر ومسامير وقدم ، وحمل سندانان مما يستعمله من يقومون بإصلاح الأحذية وذهب إلى الردهة .

وجلس على الكرسي ، وقد وضع السندان أمامه ، ومد يده في الصندوق وأخرج حذاء سوسن وراح يقلبه فآلفاه مفتوقا ، فوضعه على فخذه ، ومد يده في العلبة الصفيح يأخذ الإبرة .

وأقبلت الأم ووضعت كوم القمصان على الأريكة ، ثم جلست ترفو الجوارب وهي تنظر إلى زوجها بين لحظة وأخرى ، وهو منهمك في خصف نعال أبنائه ، والتقت عيونهما مرة ، فابتسم الزوج وهو يغمز بعينه :

— صنعه في اليد .

الفصل الثالث

أتى المساء . وانتهى حسين من إصلاح أحذية أبنائه ، وأتمت زينب تثبيت الأزرار وإصلاح الرتوق ورفو الجوارب ، فقامت تحمل البنطلونات والقمصان على رأسها ، وعلبة الخيط والجوارب في يديها ، وسارت قليلاً ثم توقفت والتفت خلفها وقالت :
— والنبي يا حسين تكوى للأولاد قمصانهم .

ووضعت علبة الخيط تحت إبطها ، ومدت يدها تسحب القمصان من فوق رأسها ، وتدفع بها إلى زوجها .

تناول حسين منها القمصان ، وأخرج من الصوان مكواة كهربية ، ومفارش وأغطية راح يفرشها فوق المنضدة ، وجاء بكوب ماء ، وأخذ يملأ فمه بالماء ويرشه على القمصان ثم يكورها ويضعها على المنضدة .
وبدا في الكى ، وإذا بصوت سوسن يرن في الردهة :

— بسم الله الرحمن الرحيم . قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، إله الناس ، من شر الوسواس الكناس .

فصاح الأب وهو مستمر في عمله :

— الخناس يا سوسن .

فأصلحت سوسن خطأها واستمرت في القراءة :

— من شر الوسواس الخناس ، الذى يوسوس فى صدور الناس .

وكانت الأم قد انتهت من وضع البنطلونات والجوارب في أماكنها وأقبلت ، فقالت لزوجها :

— الخناس يعنى إيه ؟

فشرد حسين وقال :

— الخناس ؟.. الخناس ؟.. هاتى مختار الصباح نشوف معناها

بالضبط إيه ، وهمت بالتحرك . وإذا بزوجها يقول :

— ولا مالوش لزمه .

— ليه عرفت معناها ؟

— أبدا ، بس ح نتعب نفسنا من غير لزمه .. ما فيش كلمه دورت

عليها فيه الا لقيت مكتوب الشئء الفلانى « معروف » .

— يعنى إيه معروف ؟

— يعنى سهل قوى ، مش محتاج لشرح ، الناس كلها عارفاه .

— طب والنبى لما ارواح اشوف شارح « الخناس » بإيه .

واتجهت إلى غرفة الاستذكار ، إنها غرفة بسيطة ، بها مكتب واحد

متواضع ، وصوان صفت فيه الكتب ، لا ضلف له . أسدلت عليه

ستارة ، وقد جلست نبيلة خلف المكتب ، بينما انبطح مراد على وجهه على

الأرض ، وقد بسط أمامه كتاب الحساب وكراسة ، وجلست سوسن

على كرسى من القش ، ترتل القرآن وتهز رجلها .

ونظرت الأم ، فألفت عاطف قد نام فى كرسيه ، وقد تكور فيه ،

بينما نامت هالة على الأرض ، فقالت لنبيلة :

— حرام عليكى .. هو انتى ما فيش فى قلبك رحمه ؟

فقالَت نبيلة في دهش :

— في إيه ؟

— مش شايفه اخواتك نايمين ازاي ؟

— دول لسه نايمين دلوقت .

— ناموا يا كبدي من غير عشا .

— ما كلوا العصر .

وذهبت إلى هالة وحملتها في رفق ، ثم التفتت إلى نبيلة ، وقالت :

— هاتِي أخو كِي .

فرمت نبيلة الكتاب من يدها في تهرم وهي تقول :

— أف .. الواحد ما يعرفش يذاكر في البيت ده .

— يعني المذاكره حليت دلوقت ، لما كنتي ح تخرجي مع أحلام ما

فكرتيش في المذاكرة ؟

وحملت نبيلة عاطفا ، وسارت الأم وبين يديها هالة ، وخلفها نبيلة ، وعلى كتفها عاطف ، واتجهت الأم إلى غرغتها وذهبت نبيلة إلى غرفة البنين .

وضعت الأم هالة في فراشها في حنان ، وراحت تخلع لها حذاءها في رفق ، ثم مالت ووضعت على خدها قبلة .

ودخل الأب الغرفة وهو يحمل القمصان ، فالتفتت إليه زوجته ، وقالت :

— إيد ما نعدمها .

ثم دنت منه وقبلته في خده ، فأشرق وجهه ، ورفت على فمه بسمه

رضا .

ووضعت نبيلة عاطف على فراشه وخلعت له فردة حذاء ثم غطته في عجلة ، وفي رجله الأخرى « فردة » .

عاد الأب والزوجة إلى غرفة الاستذكار ، وإذا بسوسن تردد القسم ، وهي واقفة :

— أقسم بالله ، أن أكون مخلصه لمصر ..

ورفع مراد رأسه والتفت ، فلما رأى أباه نهض وفي يده كتاب الحساب ، ذهب إليه وهو يقول :

— مش فاهم المسألة دى .

فقال الأب وهو يتسم :

— ح تفهمها ازاي وسوسن عماله تذيع قرآن وأناشيد ؟

فقالت سوسن ورأسها مرفوع :

— يعنى ماذا كرش ؟! أطلع خايه زيهم ؟

فقالت أمها وهي تربت على ظهرها :

— كفايه النهارده . أكلك فى التلميه كليه وخشى نامى .

— حاضر يا ماما .

وأقبلت نبيلة ونظرت ، فلما رأت أباهما فى الغرفة مدت يدها وتناولت الكتاب وخرجت لتستذكر دروسها فى غرفة أخرى .

وتناول الأب الكتاب من مراد ، وقرأ المسألة ، ثم قال :

— شوف يا مراد ، عندك حوض على شكل متوازي مستطيلات
أبعاده من الداخل ١٢٠ سنتى و ١٠٠ سنتى و ٨٠ سنتى متر ، ركب
عليه حنفيه تنزل ٦٠ لتر فى الدقيقة وفيه بلاعه تفرغ ٤٠ لتر فى الدقيقة ،
فإذا فتحنا الحنفيه والبلاعه مع بعض ، بعد أد إيه يتملى الحوض ؟
فقالت الأم فى حماسة :

— كلام إيه الفارغ ده ، اللى عايز يملا الحوض يسد البلاعه ، إنما يفتح
الحنفيه ويسيب البلاعه مفتوحه يبقى جنان .
— المسألة بتقول كده .

— يعلموا العيال حاجه معقوله .
ومد مراد يده ، وأخذ الكتاب من أبيه وأغلقه ، فقال له أبوه :
— بتعمل إيه يا مراد ؟

فقال مراد وهو يضع الكتاب على المكتب :
— ما دام حاجه مش معقوله أفهمها ليه !
وتحرك ليغادر الغرفة ، فقال له أبوه :

— تعال ، رايح فين ؟
— رايح آكل وانام .

ودق جرس الباب الخارجى ، فذهب مراد وفتح ، فاندفعت أحلام
فى مرح يتبعها سامى فى تودة ، وسارت حتى بلغت غرفة الاستذكار ،
فأطلت برأسها وقالت متلهلة الأسارير :
— السلام عليكم .

ثم صارت تصفر ، وكل خالجة فيها تنطق بسرورها ، وراحت الأم تتبعها بنظرها برهة ، ثم قالت :

— إيه اللي جرى الليلة دى ! أحلام مش زى عوايدها .

— مزقطة ومش على بعضها .

وارتفع صوت أحلام فى غناء :

— مال الهوا يا امه .

فالتفت الأم إلى زوجها ، وقد اتسعت عيناها دهشة :

— سامع .. بتغنى . وما سمعتهاش بتغنى قبل الليلة أبدا .

وأنصت الزوج مليا ، ثم التفت إلى زوجته وقال :

— غريب . صوتها طالع من قلبها .

ثم قالت بصوت خافت :

— تكونشى بتحب ؟!

فهبت الأم كمن لدغتها أفعى :

— بتايه ؟ هو انا عندى بنات يعرفوا الكلام ده !

. وانطلقت خافقة القلب إلى غرفة ابنتها ، فألقتها قد خلعت ثيابها ،

ووقفت أمام المرأة تتفرس فى مفاتها التى عجز القميص الشفاف عن

سترها ، وأخذت الأم تنظر إلى ابنتها مليا ، فرأتها لأول مرة فتاة نامية ،

اكتملت أنوثتها ، فاشتد وجيب قلبها وتقدمت إليها فى قلق ، وقالت :

— شفتى مين عند فايزه ؟ كان مين اللي قاعد معاكو ؟

فقالت أحلام فى بساطة :

— ما كانش فيه حد غريب .. كانت فايزه وأمها وابوها وجلال .

فقلت الأم في اضطراب :

— وجلال كان قاعد معاكمو !

— أيوه يا ماما .

فقلت الأم في صوت فيه رنة غضب :

— وازاي يقعد معاكمو ؟

— وفيها إيه يا ماما ؟ لقي سامي قاعد قعد .

— لكن سامي لسه صغير ، إنما جلال بقي راجل .

سمع سامي الحوار الدائرين أمه وأحلام ، فخرج من غرفته ، وانسل إلى الغرفة الثانية حتى يشترك في الحديث ، وقال :

— أنا كنت قاعد في أدبي مش زى جلال .

فقلت أحلام في ثورة وقد توردت وجنتهاها ، فازدادت جمالا :

— ما كان قاعد في أدبه راخر ، قول لي عمل إيه كده ؟

فالتفت سامي إلى أمه وقال :

— لو شفتيه وهو يبص لها ح ياكلها .

فتقدمت أحلام نحوه صائحة :

— خللي عندك أدب .

ولم يأبه لها ، بل استمر يقص على أمه ما حدث :

— طول ما هو قاعد يبص لرجليها .

واتسعت عينا الأم ، ونظرت برغمها إلى ساق ابنتها العاريتين ،

فامتلات حنقا ، واحتقن وجه أحلام بالدم ، وصاحت :

— ما بس بلاش كلام فارغ .

وهز سامى رأسه فى عدم اكتراث بها ، وقال :
— ولو شفتى الى عمله أبو فايزة .

فقال الأم فى فزع :

— وعمل إيه راخر ؟

فتقدم وهو يقلد الرجل فى حركاته وفى نبرات صوته :

— طبطب على خد أحلام وقال لها : « أهلا مرات ابنى » .

فقال الأم وهى تشهق :

— مرات ابنه .. مرات ابنه ازاي ؟!

وخرجت كالعاصفة ، وانطلقت إلى غرفة الاستذكار ، فإذا بزوجها

قد اضطجع وراح يقرأ الجريدة فى هدوء ، فصاحت فيه :

— يا بختك بروقان بالك .

فنحى الجريدة ، واعتدل وقال :

— حصل إيه ؟

— قال الرجل يطبطب على خدها ويقول لها : أهلا مرات ابنى .

— يهزر معاها .

— هزار إيه البايخ ده الى يفتح عينين الاولاد ؟

وجاء سامى خلف أمه يسعى ، ودخل الغرفة وقال :

— نسيت اقول لك .

— نسيت إيه كان ؟

فأمسك الباب بيده ، ووضع ساقا على ساق ، ومال قليلا ناحية

ذراعه التى أمسك بها الباب وقال :

— أبو فايزه وامها وجلال يقولوا لكم إنهم ح ييجوا يزوروكم يوم
الخميس الجاى .

فقال الأم فى دهشة :

— إيش عجب ! لا يعرفونا ولا نعرفهم .

وشردت ببصرها ، وراحت الأفكار تتزاحم فى رأسها ، وصمت
الأب يفكر ، ونظر سامى إلى أمه وإلى أبيه ، فألفاهما شاردين ، فهز
كتفيه وقال قاطعا حبل تفكيرهما :

— مش ح تتعشوا ؟

فقال الأم فى سرعة للتخلص منه :

— إحنا شعبانين ، روحوا اتعشوا انتم .

وانسحب سامى ، وجلست الأم على أقرب مقعد ، وقد حملت
رأسها بكفها ، وأرادت أن تطمئن إلى الأفكار التى نمت فى رأسها
فقال :

— تفتكر يا حسين ييجوا يزورونا ليه ؟

ولم يشأ أن يعبر عن الخواطر التى طفت على سطح ذهنه ، حتى
لا يسبب لها ألما إذا ما خاب حدسه ، فقال :

— إيش عرفنى .

وساد الصمت بينهما ثانية ، وانفرد كل منهما بأفكاره ، حتى أفاق
حسين على صوت كرسى يسحب من الخارج ، فالتفت إلى زوجته
وقال :

— يللا يا زينب ننام .

فنهضت وهى تقول :

— يللا .

— ودخلا غرفتهما ، وتمددا فى السرير ، وراحت زينب تتقلب

قلقة ، فقال لها زوجها :

— ما تنامى .

— مش جاي لى نوم .

ونحيم الهدوء على الغرفة ، ثم تنهدت زينب بصوت مسموع ، فقال

لها زوجها :

— بتفكرى فى إيه ؟

— يا ترى الناس دول شكلهم إيه ؟

— ناس زينا ، لهم عين وودان وبق ومنخير .

— مش قصدى .

— أmaal قصدك إيه ؟

— يا ترى دول ناس طيبين واللا جنسهم إيه ؟

فقال لها وهو يربت على ذراعها العارية :

— نامى نامى .. بكره نعرف كل حاجه .

الفصل الرابع

- جلست زينب أمام « التواليت » وراحت تصفف شعرها ، ولحخت زوجها مقبلا في المرأة ، وهو يرتدى ييجامته ، فقالت له :
- ح ننزل نشترى للأولاد جزم .
- فقال لها الزوج وهو يعبث بذقنه :
- ماصلحناهم أول امبارح .
- جزمهم بقت عره ، والناس ح ييجوا بكره ، يقولوا علينا إيه ؟
- دول ما بقالهمش شهر .
- أنا عارفه بيعملوا فيهم إيه ؟
- وصممت قليلا ثم قالت :
- خد مقاسهم ويللا .
- طب البسى انتى وما تأخريناش .
- فقالت وهى ترفع حاجبها عجبا :
- بقى أنا باغيب فى اللبس ، والله ما طلع على الحكايه دى غيرك .
- فقال وهو يغادر الغرفة :
- لما نشوف .
- ونادى وهو فى طريقه إلى الردهة :
- سامى ، هات ورقة بيضه وقلم رصاص .

وأقبل سامى ومراد وعاطف وسوسن ، ووقفت نبيلة على باب غرفتها تنظر . قدم سامى إلى أبيه الورقة والقلم ، فوضع الأب الورقة على الأرض ، وقال لعاطف :

— حط رجلك .

فوضع عاطف قدمه عارية فوق الورقة ، وأخذ الأب يمرر القلم الرصاص حول القدم ، ليحدده على الورقة ، وقال سامى :

— مقاس رجلى ٣٩ .

وقال مراد بصوته المنبعث من حنجرتة :

— وأنا مقاسى ٣٦ .

ورفع عاطف قدمه ، ووضعت سوسن قدمها ، وراح الأب يرسمها على الورق ، وقالت نبيلة :

— أنا عايزه جزمه « سبور » ٣٧ .

والتفت نبيلة خلفها ثم قالت :

— وأحلام عايزه جزمه بكعب على ٣٦ .

وإذا سوسن تربت على خد أبيها وتقول :

— وأنا يا بابا عايزه جزمه بكعب على .

ودنا عاطف وقال :

— وأنا كان .

وقال الأب وهو يتجه إلى غرفته :

— حاضر .

ودخل يرتدى ثيابه ، فالتفت إلى زوجته فألفاها لا تزال تصفف

شعرها ، فقال :

— لسه !

فقالت له :

— والنبي البس انت وما تلخمنيش .

وارتدى قميصه وبنطلونه ، وجلس يدس قدمه فى الجورب ، وإذا

بسوسن مقبلة تصيح :

— ماما .. ماما .. إلحقى سامى بيعلق دقته .

وقام الأب وقد لبس « فردة » جورب وقدمه الأخرى حافية ،

وذهب إلى الحمام ، فوجد الصابون الغزير يغطى ذقن سامى : فقال له

الأب فى زجر :

— إيه اللعب ده ؟ تهيج دقنك .

فقال سامى فى مكابرة :

— هو انا عملت حاجه ! أنا بأغسل وشى .

وأقبلت نبيلة وقالت :

— مستعجل قوى ، عايز تبقى راجل .

فقال لها سامى :

— وانتى إيش حشرك ؟

وقالت سوسن :

— شفت يا بابا هو اللى بياخد امواسك ويقول إن أنا اللى باخدهم

أبرى بيهم الأقدام .

ومد سامى يده وقبض على ذراع سوسن ، وهزها فى غيط :

— يا بت انتى بطلى الكذب والتأويم .

وصرخت سوسن وقالت وهى تبكى :

— آه يا دراعى .

فقال الأب فى غيظ :

— إنت بتضربها ليه ؟

فقالت نبيلة :

— ماحدث مالى عينه .

وصاحت الأم :

— ما بس بقى ، والله لو صحيت هاله ما حد ح يشيلها غيركم .

وانسلت نبيلة إلى حجرتها ، وخرجت سوسن وهى تمسح دموعا متوهمة ، وعاد الأب إلى الغرفة يستأنف لبسه ، فوجد الجورب قد ابتل بالماء ، فخلعه وقام يحضر جوربا آخر . وأتم ارتداء ثيابه ، وزوجته جالسة لا تزال بقميص النوم أمام التواليت ، وفى يدها أصبع الأحمر تمرره على شفتيها ، فقال لها :

— أنا يدى أعرف يتزوق لمين بس ؟

فقالت فى دلال وهى تنظر فى المرأة :

— لك يا راجل .

— مانتى قاعده كل يوم فى البيت من غير زواق ، واشمعنا الأبيض والأحمر ما يحلاش إلا ساعة الخروج .

— عايزنى أمشى جنبك عره ؟!

— إذا كان على أنا عاجبنى من غير زواق ، بس شهلى ، والله ما حد

(أم العروسة)

ح يخطبك ، انجوزنى وخلاص .

— آهوانت اللى بتعطلى وترجع تقول باغيب فى اللبس .

فقال وهو بهم بمغادرة الغرفة :

— ما فيش فايده ، كل الستات يحبوا ان الرجاله يصفروا لهم .

— مش كلهم .

— كلهم ، واتنى أولهم ، فاكره يوم ما جيتنى فرحانه وقلت لى إنك

كنتى ماشيه بين اتنين صحابك وواحد قال لك : أحلاههم اللى فى
الوسط !

— طب اخرج بقى خلىنى البس ، الحق علىّى اللى بقول لك كل

حاجه .

وخرج من الغرفة ، وراح يغدو ويروح فى الشقة وقد لاح فى وجهه
الضيق ، ووقع بصره على الراديو ، فذهب إليه ليديره لعل النغمات
المنبعثة تنزل الراحة بصدرة ، وتعينه على الصبر .

ونظر إلى الراديو فأتسعت عيناه دهشة ، كان زجاجه محطما ،
وعقاربه منزوعة ، والأزرار التى تدير العقارب مفكوكة ، فقال :

— راديو إيه ده ؟ بتدوروه ازاي ؟!

فأسرعت سوسن إليه وقالت :

— عايز آنى محطه ؟ مصر واللا صوت العرب ؟

فقال الأب :

— أى محطه .

فمدت يدها تدير ذلك المسمار الغارى الذى كان مركبا عليه زرار

العقارب ثم توقف وقالت :

— آهى دى محطة القاهرة .

فالتفت أبوها إليها وقال :

— يعنى ما نطقش .

فقالت سوسن فى بساطة :

— ده ما ييمشيش إلا بالضرب ، إدى له على نافوخه .

فنظر إليها وهو لا يفهم مما تقول شيئا ، فأسرعت إلى الراديو وضربت سقفه بقبضة يدها الصغيرة ، فانبعث صوت الراديو مجلجلا فى الشقة .
وجلس الأب يصغى برهة ثم نهض واتجه إلى غرفة النوم ونظر ، فألقى زوجته لا تزال تقوم بارتداء ملابسها ، فعاد إلى الراديو ضيق الصدر ، وضرب سقفه فى غيظ بقبضة يده ، فإذا بالراديو يسكت عن الكلام .
وعاد ثانية إلى حيث كانت زوجته ، وقال :

— ما تيللا بقى .

فراحت تمرر زجاجة العطر خلف أذنيها فى هدوء ، ثم مدت إليه يدها بالزجاجة وهى تقول :

— خد ، إتريح .

فانقشع غضبه سريعا وقال :

— بعدين الستات تجرى ورايا .

— مش أحسن ما تجرى منك ؟

ومد يده وجذبها من يدها وهو يقول :

— إتأخرنا خالص ح نخرج فى الضلمه .

وجذبت يدها منه وقالت :

— طب لما اقفل الدولاب .

وأغلقت الدولاب ، ووقفت أمام مرآة « التواليت » تنظر إلى
ظهرها ، فمد يده وجذبها فانقادت له .

وخرجوا من الغرفة وسارا في الردهة ، وإذا بها تقف فجأة وتقول :

— والله ما حد ييلخمنى غيرك ، نسيت آخذ مقاس رجل هاله .

وعادت إلى الغرفة . ووقفت في الردهة يصرف أنيابه ، وغابت قليلا

ثم عادت ، وانطلقا حتى إذا بلغا باب الشقة الخارجى قالت :

— أوه ، نستنى الجوانتى .

وتركته وعادت لتحضر قفازها ، ووقف يدق بقبضة يده دقات
مكتومة تنم عن ضيقه ونفاد صبره .

وعادت إليه تعبت بقفازها ، وعلى فمها ابتسامة هادئة ، ففتح الباب

وقال :

— اتفضلى ، على الله ما تكونيش نسييتى حاجه تانيه .

وانطلقا ، حتى إذا بلغا شارع ٢٣ يوليو ، راحا يتفرسان واجهات
المحال ، وقال لها :

— مش ح نخش نشترى بقى ؟

— مش لما نتفرج قبله .

وسارا ، وإذا بشاب يصفر ، فالتفت إلى زوجته وقال :

— ما تفرحيش ، مش بيصفر لك ، بيصفر لى ورانا .

والتفت خلفها ، وإذا بفتاة قد ارتدت ثوبا ضيقا مثيرا ، برز منه

نهداها ، وتعلو وجهها طبقة من المساحيق ، وقد ركبت رموشا طويلة
وصبغت شعرها بلون الذهب ، فقالت :
— أنت بتبص للفتارين ولا للماشيين ؟
فقال في بساطة :

— بتفرج .

ووقفا أمام محل يبيع أقمشة ، وقالت :
— ما بقاش عندي فساتين أخرج بيهم ، تعال لما اقطع لي فستانين .
فقال في صوت مضطرب :
— لكن احنا نازلين نشترى جزم للأولاد .
— دلوقت نشترىهم .

ودخلت إلى المحل ودخل خلفها ، وانسابت مسرعة إلى قسم الحرير
وهو في أثرها ، وقالت للعامل .
— عايزه قماشه بيعج وردتها صغيرة .

وراح الرجل يعرض عليها القماش ، وهي ترفض :
— لأدى وردتها صغيرة قوى .. لأدى وردتها كبيرة قوى .. عايزه
ورده أكبر من دى شويه ، وريني ورده أصغر من دى سنّه .
وتكدست أثواب القماش أمام العامل ، حتى كادت تحفیه ، ونفد
صبر الزوج ، فتقدم من العامل وقال له :

— لو كانت الفابريكة تنصف ، كانت تبعت لكم القماش سادة ،
وتبعت معاد الألوان والقرش ، وكل زبونه ترسم السورده اللى على
مزاجها .

وأحست الزوجة أن ضيق زوجها بلغ متناه ، فاختارت القطعتين وتناولت من العامل القسيمة ، ودفعت بها إلى زوجها ليدفعها .
وذهبا إلى محل أحذية ، واشترى ما يحتاجان إليه بعد أخذ ورد طويلين بين الزوجة وصاحب المحل في الأثمان ، وخرجا من المحل ، الزوج يضع لفة القماش تحت إبطه وتتدلى في كل يد ربطة أحذية ، بينما سارت الزوجة إلى جواره تعبت بقفازها !

ووقفت الزوجة عند واجهة محل ، وراحت تتفرس في حقائب اليد المعروضة ، ووقف الزوج بعيدا ، فإذا بها تلتفت إليه وتناديه ، فلما يدنو منها : تقول له وهى تشير بأصبعها من الزجاج :

— إيه رأيك فى الشنطه دى ؟ شنطتى بقت عره .

— اعقلى بلاش تبذير ، طالع لنا بنات .

— هو احنا جيبنا حاجه زياده ؟ حتى تحت الشنطه مستخسرها فيه !

ما استهلهاش ؟

— إذا كانت عاجبا كى خديها .

وهمت بالدخول ، فقال لها :

— اسمعى قبل ما نخشى ، مكتوب عليها ثلاثه جنيه ، فخش ندفع

الفلوس ونخرج ، مش عايز فصال ووجع دماغ ، إن فاصلتى ح اسبيك

واخرج على طول . .

— طيب .

ودخل خلفها وهو لا يدرى كيف يوفق بين لومها له واتهامها إياه

بالتبذير يوم اشترى أقة تفاح ، وبين ما تفعله اليوم !

وجعلت تقلب الحقيبة بين يديها ، وتجرب قفلها ، وتتفرس في محتوياتها ، ولما اطمأنت إليها ، سألت :

— تمناها كام ؟

فقال الرجل :

— ثلاثه جنيه .

— كثير ، ميه وخمسين قرش بس .

واربد وجه الزوج ، ونظر إلى زوجه في غيظ ، ثم غادر المحل وتركها وحدها ، ووقف أمام المحل يدق الأرض بقدمه في ضيق ، وتقضى بعض الوقت ، ثم أقبلت الزوجة وفي يدها الحقيبة .

— خدتها بكام ؟

فقالت في هدوء :

— بميه وخمسين قرش .

فالتفت إلى المحل وهو يميز على أسنانه ، فمدت الزوجة يدها إليه وقالت وهي تجذبه :

— يللا .. أصل فلوسك كثير .

الفصل الخامس

جاء يوم الخميس ، وكان ميعاد الزيارة المرتقبة ، فدبت حياة عاصفة صاحبة فى الشقة، كان الأبناء جميعهم يرتدون أفخر ما عندهم حتى الأب راح يرتدى بذلته الرمادية التى كان يدخرها للمناسبات ، وارتفعت الأصوات واختلطت فكانت أشبه بالضجة المنبعثة من مشاهدى مباراة حامية فى كرة القدم .

وصاح سامى فى عصبية :

— المشط فىن ؟ مين خده من قدامى ؟

فقال نبيلة وقد خلعت جاكته البيجاما ، ووقفت أمام المرأة تلف شعرها دوائر :

— أنا اللى خدته ، ما بقى لك ساعه بتتسبب .

وصاح الأب :

— مين اللى خد الكرافته من هنا ؟

فصاحت نبيلة :

— مع سامى .

وخرج الأب من غرفته ، وهو عارى الساقين ، يرتدى قميصا أبيض ، واتجه إلى حيث كان سامى ، ووقع بصره على الكرافته ، فانقض

عليها وأخذها وهو يقول :

— حتى الكرافته دى ح تاخذها ؟ دانا بقى لى خمس سنين مش عارف أشتري غيرها .

ونادت أحلام :

— نبيله نبيله ، والنبي تناولينى البنس .

فاتجهت نبيلة إلى الحمام ، ودفعت إلى أحلام بالبنس .

وصاح عاطف فى بكاء :

— لأ ما البسش البنطلون ده ، عايز البنطلون الأحمر .

وقال مراد وهو يدس قميصه فى البنطلون فى إهمال بحيث أصبح

القميص من أمام داخل البنطلون ، بينا كان طرفه الخلفى خارجه :

— ما تدى له البنطلون اللى هو عايزه .

وجاءت سوسن تهوول ، وهى ترتدى فستانا قصيرا كشف عن

ركبتها ، وهى تقول :

— ماما .. ماما .. لبسينى الفستان .

وأولت ظهرها للأمها ، فهمت الأم بمد يدها لتصلح هندام ابنتها ، وإذا

بعاطف يصيح :

— أنا مالى عايز البنطلون الأحمر .

وارتفع بكاء هالة ، فصاحت الأم :

— يا نبيله ، أنا مش عارفه بتعملى إيه عندك ، تعالى شوفى أختك .

وقال سامى وقد ارتدى ثيابه :

— لما تخلص زواق .

— أنا قلت لك ميت مره مالكشى دعوه بيه .

وقالت الأم لسامى :

— فوت انت بقى روق لنا الشقه شويه .

فقال سامى :

— هاتوا ثمن تذكرة السينما .

فقالَت الأم بصوت عال :

— إدى له يا حسين .

فقال الزوج فى ضيق :

— ما كانوا قعدوا فى الشقه !

فقالَت الأم فى حدة :

— أنا واحده عيانه وما تجبوليش الأوى ، حرام عليكو كفايه قرف

بقى !

فقال الأب وهو يدفع لسامى ثمن التذكرة فى صوت أقرب لصوت

المعددة :

— ليه العواذل حاسدينى ، دول حقهم ييكو على .

ورأى مراد أن سامى حصل على ثمن تذكرة السينما ، فتشجع واقترب

من أبيه وقال :

— وأنا ؟

فقالَت الأم وهو تصفف شعر عاطف :

— خذ أخوك . معاك ياسامى .

فقال مراد بصوته المنبعث من حنجرتة :

— لأ ما امشيش مع سامى ، ييزغدى فى السكه .

فقال سامى وهو ينصرف :

— ومين يمشى معاك ؟

وأخذ مراد نقوده ، وانطلق مهرولا وأمه تصيح خلفه :

— تعرف تركب بيهم عجل ح اقطم رقبتك .

وخرجت أحلام من الحمام ، وهى فى قميص وردى ، تضع على كتفها منشفة ، غطت بها ظهرها وصدرها ، وإن ظل الأخدود الغائرين ثديها عاريا ، واتجهت فى تودة إلى غرفتها ، كانت فى قرارة نفسها تحس أن اليوم يومها .

ونظر الزوج إلى زوجته وقال :

— لسه ما لبستيش ؟ الناس زمنهم جاين .

— ح البس أهو .

ووضعت يد عاطف فى يد سوسن وقالت :

— اقفى باخوكى ع الباب .

فقال سوسن :

— طب هاتوا نضيع .

وأعطاهما أبوها قرشا ، فرفضت أن تأخذه وقالت :

— أنا شفتك اديت لسامى ومراد إيه ، عايز تضحك على ، واللا

يعنى عشان ما هم ولاد ؟
وأعطاها أبوها حتى رضيت ، وأقبلت نبيلة تحمل هالة وتقول فى
ملل :

— كان على ذنب أتحبس معاها النهارده .. ما كنت خرجت أنا
رخره ..

فقال لها أبوها :

— كنت تزوحى على فين ؟

فقالت نبيلة وهى تلق بهالة فى حركة راقصة ؟

— أى حتة .

فقالت الأم وهى تخلع ثوبها :

— ما هى الدنيا سايبه .

ودخلت نبيلة غرفتها وانبعثت من الراديو أنغام راقصة ، فراحت

ترقص وهى ترفع هاله بيدها ، وأخذت تدور ، فقالت لها أحلام :

— كفايه بقى زغللتى عنيه .

ولم تكف نبيلة عن الدوران ، بل قالت :

— قولى لى الناس دول جاين النهارده ليه ؟

فقالت أحلام وهى تزرر فستانها :

— أنا عارفه !.

— كل حاجه فيكى بتقول إنك عارفه ، تسريحتك ، فستانك ، لمعان

عنيكى ، الفرحة اللى ..

قالت أحلام مقاطعة :

— بس بلاش غلبه ، هو انتى ما بتتبعيش م الكلام !

وظلت نبيلة فى دوراتها وحديثها :

— الكلام ده نعمه .. يمكن انتى ما تحسبش بيها ، لأن حواليكى ناس

كثير بيكلموكى ، زى الشبعان اللى ما يعرفش قسوة الجوع ، ياما ناس
يتمنوا يلاقوا اللى يكلموهم .

وارتفع صوت الأم ينادى :

— نبيله .. نبيله .

فقالت نبيلة وهى تتحرك فى خطوات راقصة :

— مؤكد ماما لبست الشراب .

وانطلقت إلى حيث كانت أمها ، فألفتها قد ارتدت ثوبها وجورها

وقد لفت بجذعها تنظر إلى بطن ساقها ، ولما رأت نبيلة ، قالت لها :

— شوفى خط الشراب معدول ؟

فنظرت نبيلة ثم قالت :

— معدول خالص ، وان ما كانش معدول ح يحصل إيه فى الدنيا ؟

فقالت الأم فى إيمان :

— إزاي ؟ دى قيمة الست فى شرابها .

وقالت نبيلة فى خبث :

— طب واللى من غير شراب ؟

فقالت الأم فى بساطة :

— ما لهاش قيمه .

وضحكت نبيلة ضحكة طليقة ، فهذا الحديث يدور بينها وبين أمها
كلما لبست الأم جوربها .

وأقبل الأب وهو في كامل هيئته ، ولحنته نبيلة فقالت في مرح :

— إش . إيه الشياكة دى كلها ؟

فقالت الأم وهى تبتسم :

— يا بت خللى عندك أدب .

وقال الأب وهو يهز رأسه :

— الشياكة راحت من يوم انتم ما جيتوا .

ودق جرس الباب الخارجى ، فالتفت الأب إلى الأم فى اضطراب ،
وقال :

— أهم جم . افتحى لهم الباب .

وقالت الأم فى قلق :

— أنا ما اعرفهمش . روح قابلهم انت .

وقالت نبيلة :

— انتوح تسيبوا الناس واقفين ع الباب ! أروح أفتح لهم أنا ؟

وقال الأب فى سرعة :

— لأ .. لأ .. أحلام اللى تفتح لهم .

وخرجت أحلام من غرفتها ، وسارت صوب الباب الخارجى فى

حيوية ، وإذا بالأب يقول :

— دخلت الستات فى الأوده المقروشه والرجال فى المكتب .

ووصلت إلى الباب ، فوقفت برهة تصلح هندامها ، ثم مررت يدها على شعرها لتأكد من أن الهواء لم يعيث به ، وفتحت الباب فألقت جلالاً وأباه وأمه ، فرفت على فمها بسمه ، وتأخرت خطوة ، لتفسح الطريق ، وقالت :

— تفضلوا .

والتقت عيناها بعيني جلال ، فأحست كأن تياراً كهربياً سرى فى بدنهما ، واستشعرت نشوة وسارت فى خفة ، وأشارت إلى أم جلال أن تتفضل إلى غرفة الاستقبال وانطلقت أمام جلال وأبيه تقودهما إلى غرفة المكتب .

وجلس جلال وأبوه يقلبان عيونهما فى المكان فاحصين ، كان جلال شاباً فى الثالثة والعشرين ، أسمر الوجه ، أسود العينين ، يميل أنفه إلى الكبير ، غزير الشعر ، متوسط القامة . وكان أبوه ربعة ، بارز الكرش ، مستدير الوجه ، أصلع الرأس على الرغم من غزارة شعر حاجبيه ، سقطت بعض أسنانه ولم يفكر فى أن يضع مكانها أسناناً صناعية .

وأقبل حسين وزوجته فى الردهة ، حتى إذا بلغا غرفة المكتب وقف حسين متمهلاً كأنما يستجمع شجاعته ، ثم دلف إلى الغرفة ، بينما انطلقت زوجته إلى غرفة الاستقبال ، ولحى جلال وهو مقبل ، فقد كان مقعده مواجهاً للباب ، فنهض لاستقباله ونهض أبوه .

ومد حسين يده مصافحاً ضيوفه ، فقال أبو جلال معرفاً بنفسه :

— أنا مصطفى علوان .. ابني جلال .

فقال حسين :

— تشرفنا .. أنا حسين عبد المتعال .. أهلا وسهلا .. أهلا وسهلا .

اتفضلوا .

ومر بعض الوقت في ترحيب ، وجاءت نبيلة وهي تحمل هالة واقتربت من الغرفة تصغى ، وخطر لها أن تتخلص من هالة ، فعادت إلى غرفتها ، ووضعتها في السرير لتنميتها وتمددت إلى جوارها ، وإذا بنبيلة تنام ، بينا راحت هالة تعبث في شعرها .

وغادرت أحلام غرفة الاستقبال ، ومرت بالمكتب وتمهلت قليلا ، فرأت جلالا ينظر إليها مبتسما ، ثم يغمز لها بعينه في غفلة من الأبوين الغارقين في حديث تافه ، فأشرق وجهها والتمعت عينها سرورا ، وانسلت في خفة الغزال .

وغابت أحلام قليلا ثم عادت تحمل صينية عليها ثلاث صحاف في إحداها موز وفي الثانية « جاتوه » وفي الثالثة برتقال من الحجم الكبير ، ودقت باب الغرفة بطرف الصينية وجلال يرقبها ، وقد هم أن يخف إليها يحمل عنها الصينية ، ولكنه تاب إلى رشده ، وبقي في مكانه ، وأحس أن والده بدأ ينظر إليه لما نهض حسين ليتناول من ابنته الصينية ، فتظاهر أنه يغض من بصره في حياء متكلف ، فابتسم أبوه ابتسامة عريضة فضحت فمه الخرب ، ورماه بنظرة لو ترجمت إلى ألفاظ ، لكانت « لا داعي للنفاق ، إني أعرفك جيدا » .

ووضع حسين الصينية على منضدة صغيرة ، ثم حمل المنضدة وما عليها ووضعها أمام مصطفى علوان ، حتى كادت تلمس كرشه ، واختفت أحلام من عيني جلال ، ولكن سرعان ما عادت تحمل صينية أخرى وانطلقت صوب غرفة الاستقبال .

واعتدل مصطفى في مقعده ، وتأهب للخوض في الحديث الذي جاءوا من أجله ، فنظر إلى جلال وهو يخفى موزة في فمه ، وقال :
— أتكلم أنا واللا تتكلم انت .. ما هو شأن اليوم عندهم مفتحه ؟
وضحك ضحكة طليقة ، ثم قال لحسين :
— أنا فاكرو يوم ما رحت مع أبويا يوم كتب كتابي بقت سناني تتكتك وركبي تخط في بعضها .

وابتسم حسين ابتسامة باهتة ، حزر ما جاءوا من أجله ، فراح يجمع شتات نفسه التي ذهبت شعاعا ، كان يضمن الدافع لهذه الزيارة المفاجئة ، وكان يعد نفسه لها ، ولكن ما إن سمع كلمة « كتب الكتاب » حتى اضطرب وانقشع أمنه ، وسرت في صدره رهبة .

ومال مصطفى علوان نحو حسين وقال :
— جلال ده ابني ، أنا اللي ريته ، قدامي طيب مستقيم ، لكن من ورايا ما اعرفش ، مش عايز أغشك ، إذا وافقت على طلبه اسأل عليه .. طالب إيد أحلام .. أحلام دى بنتنا ، بنحبها كلنا ، بس إياك جلال يعجبكم ويكون له قسمة ..

فقال حسين في صوت خافت مضطرب :

— ده شرف كبير لنا .

— أستغفر الله .. الجواز قسمه ونصيب .

وسمع وقع أقدام في الخارج ، فالتفت حسين فألقى زوجته منطلقة في
تأثر ، فالتفت إلى مصطفى وقال :

— عن إذنك .

— اتفضل .

وذهبت الزوجة إلى غرفتها ، وانطلق حسين خلفها مهرولا ، ودلفا
إلى الغرفة وإذا بحسين يرى في المرأة زوجته مطرقة وفي عينيها الدموع ،
وما إن أحست به حتى قالت في صوت تخنقه العبرات :

— عارف جاين ليه ؟

— عارف ، جاين يخطبوا أحلام .

وانفجرت الزوجة بالبكاء ، فدنا منها يربت على كتفها ويقول :

— مسير البنت تكبر وتسبب بيت أبوها .. أنا عارف إنها ح
توحشك .

فقالت وهي تشرق بدموعها :

— أنا مش بيعط على كده .

— أمال بتعطى على إيه ؟

فقالت وقد استدارت وأخفت وجهها في صدره :

— بيعط على إن بقى لى بنت تتجوز .

وضمها إليه في حنان وقال :

— اطمنى ، مش ح تعجزى أبدا .
ومد يده ورفع ذقنها ، والتقت عيناه بعينها ، وقال :
— ح تفضلى طول عمرك حلوه .
ثم قبلها قبله هادئة وقال :
— امسحى دموعك وروحى للناس .
فقالت وهى تجفف دموعها بيديها :
— وح تقول لهم إيه ؟
— ح اقول لهم : إدوئى مهله أفكر .
وسارت زينب وهى تقول فى أسى :
— هيه .. كلها سنه والا اتنين وابقى جده .
وذهب حسين إلى غرفة المكتب ، وانسلت زينب إلى غرفة
الاستقبال ، وما إن استقرت فى مقعدها حتى دوى صوت « بمب »
أطفال ، وصوت زمارة .
واستيقظت نبيلة على الدوى ، وبكت هالة ، فنهضت نبيلة وحملتها ،
وذهبت ثائرة إلى غرفة الاستقبال وهى تقول :
— كده خضيتوا البنت .
وتظاهرت بأنها فوجئت بوجود أم جلال ، فتأخرت خطوة ، وإذا
بأم جلال تقول :
— خشى يا بنتى .. ما فيش حد غريب .
وتناولت الأم هالة ، وضمتها إلى صدرها ، وجلست نبيلة وتأهبت

لتطلق لسانها من عقاله وإذا بصوت ارتطام حذاء صغير بالباب يتابع ،
وإذا برنين الجرس يدوى متصلا ، فقالت الأم :
— نبيله .. شوفى مين .

وقالت أحلام فى سذاجة :

— ما فيش إلا سوسن وعاطف .. هى اللي تحط صباعها ع الجرس ما
تشيلوش إلا لما يتفتح الباب ، وهو يفضل يضرب الباب بجزمته .
وفتحت نبيلة الباب ، فدخلت سوسن ترتدى قناعا على وجهها
يتبعها عاطف ينفخ فى زمارة وقد تمددت ماثتها حتى بلغت نهاية تمدها ،
فقالت له نبيلة :

— بس بقى .. ح تطق .

فقال لها عاطف وهو ينفخ :

— ما لكيش دعوه .

وضربت سوسن « بمبة » .

وأرادت نبيلة أن تبعدهما ، وإذا بسوسن تفلت منها ، وتذهب إلى
غرفة الاستقبال .

رأتها أم جلال ، فقالت :

— أهلا .. أهلا .. ما تشيلى الوش ده وورينا حلاوتك .

وهزت سوسن كتفها ، وقد ثبتت عينها على الموز والبرتقال
والجاتوه ، وأرادت أمها أن تخرجها من الغرفة ، فقالت لها :
— سوسن .. بره .



— مستقیم .. کلنا عبدنا حال .

وقبل أن تتحرك سوسن ، دخل عاطف وصوت زمارته يسبقه ونبيلة
في أثره ، فقالت الأم في غيظ مكتوم :

— نبيلة .. خدى اخواتك من هنا .

فقالت أم جلال :

— سييهم .. كلنا عندنا عيال .

ورأى عاطف الصينية وما عليها ، فقال :

— موزة .. موزة ..

ودفعته أمه ، وإذا بمثانة الزمارة تنفجر ، فقال عاطف لأمه وهو
يكي :

— أنا مالى . إننى الى طققتها .. ما حدش ح يدفع تمنها غيرك ..

وارتفع صوته بالعويل ، فأقبل أبوه وقال وهو بعيد عن الغرفة :

— عاطف .. تعال .. تعال أجيب لك واحده تانيه .

وحملته نبيلة ، وذهبت به إلى أبيه وهو يتلوى بين يديها ، وأخذته أبوه

في رفق وراح يربت على ظهره ويقول له :

— بس . ح اجيب لك عروسه كبيره .

فقال عاطف وهو يمسح دموعه .

— لا .. أنا عايز أتوميل .

وراحت الأم تنظر إلى نبيلة نظرات زجر لتتسجب ، ولكن نبيلة

أعرضت عن نظراتها .

وقالت أم جلال :



ورأي عاطف الصبية وما عليها قتال : موزة .. موزة ..

— أمال سامى فىن ؟

فقلت أحلام :

— راح السينا .

وقالت أم جلال :

— عقبال ما يروح مع عروسته .

فقلت زينب :

— تسلمى .

ونفضت أم جلال ، فقلت زينب :

— ما بدرى .

— بدرى من عمرك . ابقوا شرفونا .

وسلمت على الأم وعلى نبيلة ، وعلى سوسن ، ثم طبعت قبلة على خد
أحلام .

وأسرعت أحلام تفتح الباب ، وسارت زينب وأم جلال وخلفهما
نبيلة وسوسن .

ونفض جلال وأبوه وحسين ، وانطلقوا صوب الباب ، وإذا بالجميع
يتقابلون عند الباب لأول مرة ، وانتهزت أحلام هذه الفرصة ، فراحت
ترنو إلى جلال فى حب وهو ينظر إليها مشرق الوجه مبتسما .

وجاء مراد ، وفى وجهه أثر شحم ، وقد اتسخت يده ، وفى ساقه
أثر تراب امتزج بعرقه ، وما إن رآته أمه حتى اريد وجهها ، وقالت فى
ثورة :



— غيرة عملت فرح قائدا : إليه سعيدة عليها وعلى أولادها —

— مش قلت لك ما تركبش عجل .

فقال فى بساطة :

— ما ركبتش عجل .

— أمال إيه الوساخة دى !

— ركبت موتوسيكلن .

وشق طريقه بينهم وانطلق .

وانصرف الضيوف ، بعد أن تصافح الجميع ، وضغط جلال على يد
أحلام ضغطة خفيفة أحست أثرها فى قلبها الذى اشتد وجيبه ، وفى
وجنتيها اللتين اشتعلتا نارا .

واتجهت نبيلة إلى غرفة الاستقبال وحملت الصينية ، وانطلقت أحلام
إلى غرفة المكتب وعادت بالصينية الثانية، ووضعت الصينيةتان على نضد
بالمطبخ، وإذا بالأيدى تتخاطف ما بهما ، وقالت نبيلة ، وهى تمد يدها
تأخذ قطعة جاتوه :

— غوله عملت فرح قالوا ليلة سعيدة عليها وعلى اولادها .

الفصل السادس

أتى المساء ، فنام عاطف كعادته على الأريكة في الردهة ، وفي قدمه فردة حذاء ، وقدمه الأخرى عارية ، وأقبلت سوسن تتمطى ودنت من أمها وقالت :

— ماما .. ماما .. عايزه أنام .

— روجي نامي .

— حد يفرش لى السرير .

فقال أحلام :

— تعالى .. أنا داخله أنام .

والتفت أحلام إلى أمها وأبيها وقالت :

— اتمسوا بالخير .

وسارت حتى إذا بلغت الردهة ، حملت عاطفا لتضعه في سريره .. وانطلقت إلى غرفة نوم الأولاد، فإذا بمراد قد نام ورجلاه مستندتان إلى الحائط ، ورأسه مدلى عند منتصف السرير فلم تلتفت إليه ، وتقدمت إلى سرير عاطف ، ووضعت حملها فيه في رفق ، ثم ذهبت إلى غرفتها وسوسن في أثرها تردد في صوت ممدود كله تكاسل :

— عايزه أنام .

وتقدمت أحلام من سرير سوسن وأصلحت وضع وسادته ،
ورفعت الأغطية ، فأسرعت إليه سوسن وقبل أن تتمدد فيه قالت :
— غطينى .

وأحكمت أحلام وضع الأغطية حول سوسن ، ثم خلعت ثيابها
واندست في سريرها وقد أغمضت عينيها لترى بعين خيالها أحلامها البهيجة
وأمانها العذاب .

كان الزوجان يترقبان انصراف الأولاد ليتحدثا في نجوى ، ويتشاورا
في أمر خطبة جلال لأحلام ، ولكن بقاء سامى ونبيلة في الغرفة جعل صبر
الأب ينفد ويقول لهما :

— انتوا مش داخلين تناموا ؟

فقال سامى :

— لأ . أنا ح اذاكر .

وقالت نبيلة وهى تنهض :

— إذا كنت ح تذاكر هنا ح اسيب لك الأوده واروح اقرا فى أودتنا .

فقال لها سامى :

— تعملى طيب .

وغادرت نبيلة الغرفة ، والتفت الزوج إلى زوجته وقال :

— الواحد وخمان النهارده ، ياللا نخش ننام .

ونفض ونهضت زوجته وسارا إلى غرفة نومهما .

ووصلت نبيلة إلى غرفتها ، فأضاءت النور ، وقطعت على أحلام حبل

أحلامها اللذيذة ، فقالت فى عصبية ، دون أن تفتح عينها حتى لا تفر
الرؤى العذاب :

— اطفى النور . خلىنا ننام .

وراحت نبيلة تخلع ثيابها وترتدى بيجامتها ، وقالت فى هدوء :
— ما تنامى .

فقالت أحلام وهى تتقلب فى غضب :
— ما اعرفش أنام فى النور .

— وأنا ما اعرفش اقرا فى الضلمه

— هو الواحد ما يعرفش يستريح فى البيت ده !

فقالت نبيلة وهى تتمدد فى السرير وفى يدها كتاب :
— هانت .. بكره تسيبيه وتستريحى منه على طول .

وتقلبت أحلام مرة ثانية فى حنق ، ثم جذبت غطاءها وأخفت به
وجهها ، لتعيش فى الظلام تهم فى دنيا جميلة من نسج خيالها .
ودخل الزوجان غرفتهما ، وأغلقا بابها عليهما ، واتجهت الزوجة إلى
هالة ، وأحكمت الغطاء حولها وهى تقول لزوجها :

— عرفت ماهية جلال كام ؟

— قالوا خمسة وعشرين جنيه .

— وتفتكر خمسة وعشرين جنيه تفتح بيت اليومين دول ؟ ح يسكن

بكام ويكسى بكام وياكل بكام ؟

وهز الزوج كتفيه ، ولم ينبس بكلمة ، وقالت الزوجة :

— قل لي : أبو جلال قال لك إيه ؟

— قال لي : إذا حصلت قسمة يجهيوا الشبكة ، ويقروا الفاتحة
ويأخروا الكتاب للدخلة .

— اسمع أنا بنتي لازم يتعمل لها فرح ، أنا مش بقى لي تمتاشر سنة متجوزه
لكن مش قادرة انسى إني دخلت ع السكت ، الحكاية دى عملت لي
قرحة في قلبي ، كل ما افكرها انقبض وعيني ترغزغ بالدموع . إيه اللي
خلانا عملنا كده ؟ إزاي قبلت انك تيجي لوحدة تاخذني زى اللي
نكون عملنا عمله .. دخلنا شقتنا نتسحب زى الحراميه ، لا طقت
زغروته ولا انقادت شمعة .

واقترب منها وقال وهو يلف ذراعه حولها :

— ياما ناس اتعمل لهم أفراح ولا عمروش .

— لكن برضه الفرحة حلو .

وقال لها وهو يضمها إليه :

— الستر والتوفيق أحسن .

وابتعدت عنه في دلال وهي تقول :

— افكرنا نفسنا وح ننسى البنت ، قول لي ما عرفتش إذا كان ح

يسكن لوحده واللاح يسكن مع ابوه ؟. أنا بنتي ما تسكنش مع حد
أبدا .

— دى تفاصيل ما تكلمناش فيها ، مش لما نوافق ع الجواز قبله ؟

أتما خلع ثيابهما ، واتجها إلى السرير وتمددا فيه ، وقال الزوج وهو

يضع رأسه على ذراعه وينام على جنبه ، ووجهه في وجه زوجته :

— قبل ما نقول آه أولا لازم ناخذ رأى أحلام .

— ناخذ رأيها في إيه ؟

— في جلال . يمكن ما بتستظرفوش .

— أحلام لسه صغيره إيش عرفها بالكلام ده .

— أنا لما جيت أتجوزك مش خدوا رأيك ؟

— قالوا لي إنك جاي تخطبنى ، قمت وديت وشي الناحيه الثانية ،

قال إيه مكسوفة ، والحقيقة إني كنت فرحانة .. كل بنت بتفرح لما

تتخطب ، بتحس إن بقى لها قيمة ، وإن فيه راجل بيطلبها . فرحت

خالص مع إنك كنت غريب عني ، ما كنتش أعرفك خالص ، كنت

بالنسبة لي زى سر جميل .

— وعرفتني السر ده إمتى ؟

— بعد ما اتجوزنا . الحب ما يجيش الام العشرة .

— آمال اللي بيعجبوا بعض قبل ما يجوزوا ؟

— ده حب شيطاني . ما بيعمرش .

وقربت وجهها منه وقالت :

— قولي لي بتحب فينا إيه ؟

— باحب فيكم كل حاجة فيكم . كدبكم ، وزيطتكم ووجع

الدماغ الي بتسببوه لي ، تعرفي آخر مره سافرت فيها ، لما جه الليل

ودخلت أودتي أنام حسيت إني وحيد ، ما ليش حد في الدنيا ، بقيت

أُتلفت وأنا مقبوض ورغرغت عيني بالدموع ، اشتقت ساعتها لعياط
هاله ، وسألة سامي ، ولت نبيلة .

وشرد قليلا ثم قال :

— الله احنا مالنا الليلة دي بنفكر نفسنا وننسى البنت .

الصبح لازم تسأل أحلام عن رأيها في جلال .

— ح أسألكم وإن كنت واثقه انها ح تودى وشها الناحيه الثانيه
وتطاطى راسها .. يا ترى عيلة جلال شكلها إيه ؟

— هي ح تتجوز جلال واللاح تتجوز عيلته ، الرك عليه هو .

— الرك ع الأصل برضه ، الأصيل ما يعيش .

ثم تنهدت وقالت :

— بقى انا اللي كنت بالعب أول امبارح في الحاره بقى لى بنت

تتجوز !

— ما شفتكيش وانتى بتلعبى في الحاره ، شفتك شابه حلوه .

— هو انت لحقت تشوفنى ، كنت مستعجل قوى ، ما لحقت

خطبتنى ما لحقت دخلت عليه .

— فافكره ليلة الدخله لما لقينا نفسنا في الشقه لوحدنا ؟

— ومدت يدها تطفىء النور ، وهى تضحك ضحكة خافته وتقول :

— والنبي ما تفكر نيش ، دا احنا كنا عبطه قوى .

وامتزجت ضحكاتهما الخافته ، ونسيا ابتهمنا وراحا يفكران في

نفسيهما بكل حواسهما .

وانقضى الليل بأسراره ، ودبت الحياة فى الشقة ، فإذا بملبس النوم تلقى هنا وهناك ، وإذا بشجار وصياح وعويل وبكاء ، وإذا بأياد تمتد إلى الصحاف ولا ترتفع إلا بعد أن تصبح خاوية .

وخرج الأب والأولاد ولم يبق فى الشقة إلا أحلام وهالة وأمهما . راحت أحلام تلتقط الثياب المبعثرة ، وتملأ القل ، وتعيد تنسيق المكان ، بينما كانت الأم تغسل ثياب هالة وجوارب الأولاد ومناديلهم . ونادت الأم :

— أحلام . تعالى خدى الغسيل ده انشريه عندك .

وذهبت أحلام إلى الحمام ، ودنت من أمها ، فإذا بالأم تقول لها وهى تتظاهر بالانهماك فى عصر ثوب من ثياب هالة :

— عارفه إن جلال جه يخطبك امبارح ؟

ونظرت إلى ابنتها من طرف عينيها لتراها وهى تشيح بوجهها خجلا ، ولكن أحلام قالت فى هدوء :

— عارفه .

ولم تجد الأم مبررا للتظاهر بالانشغال عن ابنتها لتخفف من حدة خجلها ، فما عادت البنات ينجلن من ذكر الزواج والخوض فى أحاديثه فوضعت الثوب على الصنبور ، وأسندت كفها على الحوض وقالت :

— وعارفه إنه بياخد خمسة وعشرين جنيه ؟

— عارفه .

— وتفتكرى الخمسة وعشرين جنيه يكفوكو ؟

فقلت أحلام في حماسة :

— يا ماما لازم نبتدى من أول السلم ، نكافح سوا ، ويكون لنا هدف واحد ، نبتدى صغيرين ونكبر مع بعض ، عشان لما نعجز تكون لنا ذكريات مشتركة نعيش عليها ، انتى نسييتى يا ماما بابا كانت ماهيته كم لما اتجوزتو ؟

— كانت ماهيته اتناشر جنيه ، لكن كانت أيام غير دى ، كانت أجره الشقه اتنين جنيه ، ورطل اللحم الضانى كان بتلاته ونص .
— يا ماما احنا اتنين ، ح ناكل إيه ولا ح نشرب إيه ؟

— النهارده اتنين بكره ح تزيدوا .
— وكان ماهيتنا ح تزيد ، ومش ح نعمل زيكو ، ح نخلف واحد أو اتنين بالكثير .
— كان غير كم أشطر .

واقتربت أحلام من أمها وقالت :

— قولى لى : إيه هى أسعد أيامكم ؟ مش أيام جوازكم الأولى والأيام اللى اتولدت فيها واللى اتولدت فيها نبيله وسامى ومراد وسوسن وعاطف ؟ دانا فاكروه يوم ما اتولدت هاله ، كان بابا فرحان ، إحنا لما اتولدنا كنا عبء جديد عليكم ، ويرضه فرحتوا بينا ، مش كل الأعباء تزعل ، في أعباء للذيذة الواحد يتحملها وهو مبسوط ، أنا أفكر إن متاعب الكفاح من الأعباء للذيذة . لما تزرعى شجرة وتبقى في زرعها مش بتنسى كل تعبك لما تشوفها كبيره ، كان الزوجه بترعى جوزها

وبتعب عشانه وبحرم نفسها من كثير ، عشان توفر له الراحة ، وتهيا له الفرصة اللى يكبر فيها ، لغاية ما تشوفه كبير ، وساعتها تنسى كل تعبها .

ونظرت أمها إليها فى دهش ، وهى صامته ، لم يدر بخلدها أن أحلام ابنتها الطفلة ، التى كانت تحسب حتى الساعة أنها لا تفهم عن الحياة شيئاً ، تتحمس لخطبتها كل ذلك الحماس ، كانت تظن أنها ستدير وجهها حياء ، حتى إذا ما ألحت عليها فى استطلاع رأيها قالت فى صوت متهدج : (البركة فيكم . اعملوا اللى تشوفوه) .

ورأت الأم من الحكمة أن تساير ابنتها فى عواطفها ، وألا تحاول تبصيرها بمستقبلها ، فقد أحست ضالة نفسها بعد أن سمعت آراء ابنة الأُمس ، فقالت :

— يا بنتى احنا كل اللى عايزينه سعادتك ، وإن ربنا يهدى سركم .
والتفتت الأم صوب السماء وقالت :
— يا رب اجعل أيامهم أحسن من أيامنا .
فقالت أحلام وهى تبتسم :

— والللا زيا .

— والللا زيا يا بنتى . والله أيامنا ما كانت وحشه .
وأخذت أحلام الغسيل وغادرت الحمام لتشره ، والأم تنظر إليها فى إعجاب وعجب .
وراح الوقت يمر ، وعاد الأولاد من مدارسهم ، وبدأت متاعب

الغداء ، وارتفعت الأصوات ، وأقبل الزوج ، وانجه إلى غرفته ،
وأسرعت زوجته إليه ، فقال لها وهو يخلع جاكته :

— هيه . كلمتي أحلام ؟

— كلمتها .

— موافقة على جوازه ؟

— موافقه بس ! دا لو جاب محامي ماكنشى اتكلم له زى
ما تكلمت له .

— قالت لك إيه ؟

فقالت وقد اتعمت عيناها بيريق الإعجاب :

— قالت كلام ما عرفش اقوله أنا يا لى متجوزة بقى لى تمتاشر سنة .

ثم مصمصت بشفتيها وقالت :

— بنات آخر زمن .

الفصل السابع

وقفت أحلام أمام المرأة تديم النظر إلى وجهها ، ثم ترفع يدها وتصلح الشعرات المبعثرة على جبينها ، واقتربت نبيلة منها ومررت يدها على ظهرها لتذهب التقلصات التي كانت بثوبها ، ونظرت إلى ساقها مليا ، فالتفتت إليها أحلام وقالت وهي تبسم :

— إيه ، خط الشراب مش عدل ؟

فقالت نبيلة وهي تضحك :

— فين الشراب ده ، هو انتى لسه لبستيه ؟

ورفعت أحلام ثوبها ، والتفتت بنصفها الأعلى ، لترى بطن ساقها وقالت :

— ما ايه .. بصى عدل .

فازداد ضحك نبيلة ، وقالت :

— ح تستعميني ، وانا نظرى سته على سته ؟

وصكت ضحكات نبيلة أذن سامى ، فخرج من غرفته ، وهو عارى الصدر ، يرتدى بنطلونا قصيرا وجوربا وفردة حذاء ، وفي يده الفردة الثانية وقال :

— إيه الضحك ده ، زمان جلال طالع ، يقول علينا إيه ؟

فقلت نبيلة وهى تشيح بوجهها عنه :

— إيه . ما نضحكش !؟

— لأ ما نضحكيش .

— هو حكم قراقوش ده ، واللا إيه ؟

— أيوه حكم قراقوش . .

— اسمع . انت مالکش دعوة بيه . انت مش ولى أمرى .

— لازم تعرفى إنى أنا مستول عنك .

كانت الأم ترقب زوجها وهو يرتدى ثيابه ، فقالت له همسا :

— يا راجل اخرج لهم خليك حمش .

وخرج الأب لهم وقال فى صوت خافت :

— ما بس . زمان جلال طالع .

فقلت نبيلة فى عصبية :

— خليه يسكت عنى ، مالوش دعوه بيه ، دا مش عايزنى

أضحك .. مش عايزنى اتكلم .. مش عايزنى اتنفس .. يعنى أموت

يعنى ؟

فقال سامى :

— يا بابا مش سامعها بتضحك ازاي ؟

— يا بابا دا عامل نقره من نقرى .

ووقف الأب حائراً بينهما ، فأسرعت الأم لتضع حدا لهذا النزاع

فصاحت :

— خللي عندك دم انت وهى ، ياللاك واحد منكم على أودته ، مش عايزه أسمع حس حد فيكم .

وانسحب سامى إلى غرفته ، ودخلت نبيلة إلى غرفتها ، فإذا بأحلام فى شغل عنهم جميعا بتنسيق وضع الشيكولاتة على الصينية ، كان همها إرضاء جلال .

ولمحت الأم مرادا وهو مقبل من أقصى الشقة ، وقد اتسخت ملابسه ، وتلوّث يده بالحبر ، فصاحت فيه :

— مراد . خش اشطف والبس هدموم نظيفه ، زمان جلال طالع .
فقال فى بساطة :

— وانا مالى ومال جلال ؟!

— لما يشوفك وسخ كده يقول إيه ؟

— يقول اللى يقوله ، هو جاي عشانى ؟

ونظر من خلال الباب فرأى أحلام ، فقال :

— اللى جاي عشانهم يتزوقوا له .

فصاحت الأم فيه :

— خش اشطف بلاش قلة أدب .

وأسرع مراد إلى الحمام ، وانجهت الأم إلى زوجها ، وقالت :

— كلمه بصراحه .. اسأله إذا كان ح يسكن لوحده واللاح يسكن

مع أمه ، إذا كان ح يسكن مع أمه ماتواقش ، إحنا لسه على البر ، واللاح ح تتكسف زى عوايدك ؟

فقال وهو يدس رجله في الحذاء :

— أكسف ازای !

— آه . دى بتتا ولازم نريجها .

وصمتت قليلا ثم قالت :

— تعرف يا حسين أنا يوم ما اتخطبت قلبى ما دقش زى النهارده . أنا مش عارفه مالى موهومه كده .. بخايفه .. إلا يا حسين سألت عليه كويس ؟

— كل اللى سألتهم عنه قالوا إنه ابن جلال .

وسمع ارتطام حذاء بالباب الخارجى ، فصاحت الأم :

— نبيله ، افتحى لاخوكى .

وأسرعت نبيلة إلى الباب وفتحته ، وإذا بعاطف يدخل منفوش الشعر ، فى وجهه آثار عرق ممزوج بالتراب ، وقد حمل فى يده فردة حذاء وتدلّى بتطلونه فبدت الفانلة من تحت قميصه القصير ، فصاحت نبيلة فيه وهى تجذبه من يده :

— إيه الوساخه دى . تعالى .

وانطلقت به صوب الحمام وقالت لمراد :

— اغسله وشه وايديه معاك .

وتركته ، فانسل مسرعا إلى حيث أمه ، فقالت له :

— روح اغسل وشك وتعال عشان ألبسك البدله الجديده .

فقال عاطف وهو يهز كتفه :

— قبله هاتى قرش .

— بعد ما تغسل وشك وتنضف ح ادبك قرش .

ودق جرس الباب الخارجى ، فقالت الأم :

— سامى افتح . جلال جه .

لكن رنين الجرس ظل متواصلا ، فقال سامى :

— دى سوسن .

— طب روح افتح لها .

وقال الأب وهو يرتدى جاكته وينظر إلى هندامه فى المرأة :

— الشيكولاته والملبس اللى اشتريتهم فين ؟

فقالت الأم :

— مع أحلام .

وأقبلت سوسن ، وفى يدها قطعة من كعكة عيد ميلاد واتجهت إلى

أبيها وقالت وهى تتمسح به :

— بابا اشمعنى جيرانا كلهم بيعملوا لأولادهم عيد ميلاد ، واحنا ما

بنعملش ؟

ومرر أبوها يده على شعرها فى حنان وقال :

— عايزه تعملى حفلة عيد ميلاد ليه ؟ عشان تاكلى جاتوه

وشيكولاته ؟ أجيب لك جاتوه وشيكولاته .

— لا يا بابا . أنا مش عايزه أعمل عيد ميلاد عشان آكل جاتوه

وشيكولاته ، عشان أعزم أصحابى اللى بيعزمونى ، عشان يفرحوا

ويبيضوا معايا ، زى ما بفرح واهيص معاهم . النهارده بقيت قاعده معاهم مكسوفه ، لأنى عارفه إني مش ح اجيبهم فى عيد ميلادى ، لأنى ما ليش عيد ميلاد .

واكتسى وجه الأب بسحابة من الحزن ، وظل صامتا يغالب مشاعره ، تحرك الحنان فى صدره فكاد يضعف وبعد ابنته بحفلة عيد ميلادها ، وإن كلفه ذلك ما لا يطيق ، وإذا بزوجه تجذب سوسن من يدها فى رفق ، وتقول لها فى صوت فيه رنة أسمى وحزن ، وإن جاهدت أن ينبعث طبيعيا ، لا يشوبه ذلك الكدر الذى حرّكه حرمان ابنتها من أمنية عزيزة من أمانها :

— اسمعى يا سوسن ، اللي بيعملوا حفلات عيد ميلاد أولادهم بيكون عندهم ولد اتنين مش زينا ، احنا لو عملنا « عيد ميلاد » ح نعمل حفله كل شهر .

وتسرب ذلك الحديث إلى آذان الأولاد ، فأقبل سامى ونبيلة وأحلام ومراد وعاطف ووقفوا عند باب الغرفة يصغون ، وكأنما شاءت هالة أن تعلن عن وجودها فراحت تعبث فى أصابع رجلها وهى مستلقية فى سريرها ، تصبح صيحات متتابعة .

وانبرت نبيلة تشد أزر أختها قالت :

— بلاش نعمل لكل واحد فينا عيد ميلاد ، نعمل عيد ميلاد واحد لنا كلنا .

فقالَت الأم :

— ونختار تاريخ الحفلة دى ازای ؟

فقال سامى وهو يشمخ بأنفه :

— تتعمل فى عيد ميلادى أنا ، لأنى أنا أكبر ..

ولم تتركه نبيلة يتم جملة ، وقالت مقاطعة :

— ليه الأنانيه دى ؟

وقالت الأم منتبهة هذه الفرصة لتتخلص من هذه الورطة .

— ح تتخنفوا ! ياللا كل واحد فيكم على أودته .

وقالت أحلام فى هدوء :

— ولا خناق ولا حاجة . نعمل الحفلة دى فى عيد ميلاد بابا .

وصاح الأولاد كلهم موافقين :

— أبوه عيد ميلاد بابا .

واندفعوا إليه يلتفون حوله ، وأمسكت سوسن بينظلونه وصاح

مراد :

— يحيا بابا .

ودق جرس الباب ، فقال الأب :

— جلال جه . ياللا يا سامى افتح له ودخله أودة الاستقبال .

وخرج سامى ، وانسلت أحلام ونبيلة من الغرفة ، وقالت الأم

لمراد :

— ياللا روح اقلع هدومك الى زى الزفت دى ، يا نبيلة خدى

عاطف لبسيه .

وعادت نبيلة وتناولت يد عاطف وخرجت به ، وأسرعت سوسن لتنظر إلى جلال من بعد ، وبقي الزوجان وحدهما في الغرفة ، فقالت الأم في مرارة :

— طبعاً يحبوك ويكرهوني أنا . ما انت دائماً تصدرني لهم . أنا اللي أقول ما فيش فساتين .. ما فيش بدل .. ما فيش جزم .. ما فيش خروج .. ما فيش فلوس .. إزاي يحبوني .. أنا من بعد النهارده ما ليش دعوه بأولادك . انت اللي تربيههم :
فاقترب منها وقال :

— إنتي زعلتي ؟! أهم ولادى وولادك .. دول ما يقصدوش .
— دى مش أول مره . دول بيعاملونى زى ما اكون مرات أبوهم .
فقال وهو يبتسم :

— ولا يهملك . كفايه انك تكونى أُمى أنا .
وأسرع عاطف ، بعد أن ارتدى ثياباً جديدة ، إلى غرفة الاستقبال ، ووقف ببابها بالقرب من سوسن ينظر .

كان جلال جالساً في المقعد المواجه للباب ، وكان سامى إلى جواره ، وقد ساد الصمت بينهما . ولمح جلال عاطف ، فقال له وهو يهيم لاستقباله :

— تعال .

فقال عاطف وهو يهز كتفه :

— لأ ..

— تعال عشان أديك حاجه حلوه .

فقال عاطف وهو يتقدم :

— هات قرش قبله .

واربد وجه سامى وصباح فى عاطف :

— ح اقطم رقبتك .

وقال جلال :

— سيبه .

وانطلقت سوسن كالعاصفة إلى حيث كان والدها وقالت :

— ماما .. ماما .. إلحقى . عاطف بيشتحت من جلال قرش .

فقالت الأم فى عصبية :

— امشى هاتيه ، هى العيال دى ما تسترش أبدا .

ومد الزوج يده إلى عقدة الكرافة وأصلحها ، ثم سار إلى غرفة

الاستقبال ، وزوجته توصيه :

— ما تنكسفش .. إذا كان ح يسكن مع أمه الله الغنى عن دى

جوازه .

ودخل الأب الغرفة ، فنهض جلال لاستقباله ، وتصافحا ، وانسل

سامى من الغرفة وراح يبعد إخوته عنها ، فيسمع الأب وجلال

همهمتهم ، فيرفع الأب صوته بالترحيب ليغطى الضوضاء المنبعثة من

الخارج :

— أهلا وسهلا . إزاي والدك ؟

— بخير والحمد لله .

واعتدل الأب في جلسته ، وراح يجمع شتات نفسه ، فقد كان مقبلا على حديث خطير ، قال :

— أنا كل اللى سألتهم عنك قالوا إنك طيب وابن حلال ، وأنا يا بني يشرفنى إنى أدى لك بنتى ، بس أحب أقول لك إن العيشه اليومين دول صعبه ، كل حاجه غاليه ، فكرت ح تسكن بكام وح تعيش ازاي ؟ أيام أنا ما اتجوزت سكنت باتنين جنيه ونص ، وكل اللى كنت باصرفه على البيت ثلاثه جنيه ، كنت عايش بالمبلغ ده عيشة أمرا .. كنت باكل تفاح وموز وفراخ وحمام ، وبالبس حرير وصوف إنجليزى ، أفصل كل ست اشهر بدله جديده .. كان القسط اللى بدفعه للترزى خمسين قرش .

وسمع طرق خفيف على الباب ، فالتفت الأب فرأى أحلام وبين يديها الصينية ، عليها صحاف من بلور ، نسقت فيها الشيكولاته والملبس والجاتوه ، فنهض لياخذ منها الصينية ، فإذا به يرى أبناءه جميعا قد اصطفوا خلف أحلام ، كانوا أشبه بالقطط التى جاءت على رائحة السمك .

وضع الأب الصينية أمام جلال وقال :

— اتفضل ..

ومد جلال يده وتناول قطعة شيكولاتة ، بينا راحت أحلام تبعد أخواها عن الغرفة فى رفق وتحول بينهم وبين الهجوم على الصينية المشتهاة .

ووجد جلال الفرصة سانحة ليتحدث ، فقال :

— حكاية الشقه فرجت .

كانت فرصة ذهبية أن ينفردوا بالشيكو لائحة والملبس والجاتوه



— إزاي ؟

— بابا انتقل المتصوره ، ح ياخذ ماما معاه ، وح يسيب لى الشقه .
وأحس الأب راحة ، فقال وهو يزفر فى اطمئنان :
— عال .

— أما الأكل واللبس ..

فقاطعه الأب قائلا :

— الحاجات دى كلها مقدور عليها .

ونفض الأب مستأذنا ، وأسرع إلى زوجته يزف إليها النبأ ، ويطمئنها
أن ابنتها لن تعيش مع حماتها تحت سقف واحد .

واستطاع عاطف أن ينسل فى غفلة من الجميع إلى غرفة الاستقبال ،
وأن يذهب مباشرة إلى الصينية ، وأن يغتنم الفرصة لينفرد بما فيها وحده ،
وجلال يعاونه على فض أغلفة الشيكولاتة ، وفطنت سوسن إلى غياب
عاطف ، وإلى تسربه إلى غرفة الاستقبال ، فخفت تشاركه الغنيمة .
وأراد الأب أن يعلن بطريقة عملية أن جلالا قد صار فردا من الأسرة فأذن
لأولاده جميعا أن يشاركونه جلسته .

وأقبل الجميع يسلمون عليه ، ودخلت الأم وصافحته فى شوق ، وما
أن جلس الأولاد حتى رأوا فتك عاطف وسوسن بالشيكولاتة ، فخف
كل منهم إلى الصينية ليأخذ نصيبه .

وجاءت أحلام ، ومدت يدها إلى جلال ، فإذا به يضغط على يدها
فى حب ، والتقت عيونهما لحظة ، كان لها فى نفسيهما وقع السحر ،

واتجهت إلى كرسي قبالته وجلست ، فشاع في المكان جو عجيب من الحب والهيام ، ما كان يعكره إلا الأيدي الممتدة إلى الصينية في تتابع ، ونظرات الزجر التي كانت تسدها الأم إلى أبنائها ، والتي كانوا يشيخون بوجوههم عنها ، كانت فرصة ذهبية أن ينفردوا بالشيكولاتة والملبس والجاتوه ، وأن يلتهموا ما يشاءون كما يشتهون تحت بصر أمهم وسمعها ، دون أن تقدر على زجرهم ، فرصة قلما يجود الزمان بمثلها !.

الفصل الثامن

أراد جلال أن يعلن أصهاره أن في أسرته من يمتلك سيارة ، فدعا شفيق ابن خاله ليذهب معه في اليوم المحدد لقراءة الفاتحة ، ودفع المهر والاتفاق على يوم الزفاف .

ووقفت السيارة أمام بيت حسين ، وهبط منها جلال وأمه وأبوه وشفيق ، كان شفيق شابا في الرابعة والعشرين ، طويل القامة ، عريض المنكبين ، خفيف الظل ، من ذلك الطراز الذي تهفو إليه القلوب من أول نظرة .

وكان عاطف وسوسن واقفين عند باب البيت ، فلما رأى عاطف جلالا ، أسرع يحياه ، فمد له يده مصافحا وقال :
— أهلا صاحبي ، انت جيت ؟

ورفعه جلال بين ذراعيه وقال له وهو يقبله :
— أهلا عاطف ، ازيك .

ووضعه على الأرض ، فرفع رأسه وقال :
— هات قرش بقى .

فوضع جلال يده في جيبه وأخرج قرشا ، ووضعه في كفه ، فقالت سوسن كأنما تعلن عن وجودها :

— اخص يا عاطف ، ح اقول لماما .

فقال لها عاطف :

— وانتى مالك ؟

— يا شحات .

ومد جلال يده فى جيبه وأخرج قرشا آخر وأعطاه لسوسن ،
فتمنعت تمنع الراغب ، ثم أخذت القرش فى خفة ، وقالت لعاطف :
— تعال لما اشترى لك حاجه .

وابتعدا وجلال ينظر إليهما وهو فى طريقه إلى البيت ، وقد وسع
خطاه ليلحق بأهله الذين سبقوه إلى السلم .

ودق الجرس ، فإذا بحسين يفتح الباب فى سرعة ، فقد كان يرصد
مقدمهم ، ورحب بهم وقدم مصطفى علوان شقيقا إلى حسين ،
وجلسوا يتبادلون عبارات الترحيب ورائحة البصل المحمر فى السمن تملأ
أنوفهم .

كان المطبخ على قدم وساق ، أحلام تغرف الطبخ فى الصحاف ،
والأم تحمر الدجاج ، ونبيلة وسامى ومراد يغدون ويروحون بين المطبخ
والسفرة يحملون الصحاف والخبز والماء المثلج .
وقالت الأم :

— روحى انتى يا أحلام غيرى هدومك .

فقالت نبيلة ، وهى تجفف يديها فى « الفوطة » التى كانت ترتديها
فوق ثوبها :

— واشمعى أحلام ، ما اروح أنا رخره أغير هدومى .

فقال سامى متحديا ومتأهبا للشجار :

— هو ما فيش حد بيعمل حاجه ، إلا لازم تعمل زيه ، ما تقولى لازم أتجوز أنا رخره .

— وانت حاشر نفسك فى كل حاجه ليه يا بايخ ؟

فقال الأم :

— هس .. انكتموا وخللو عندكم دم ، الناس جوه . ياللا غوروا كلكم من وشى . مش عايزه حد منكم هنا .

وانسلوا من المطبخ ، وراحوا يرتدون ملابسهم . كأنما كانوا فى سباق ، وخرج سامى من غرفته يرتدى الحذاء والقميص والجاكته ، وهو يهرول صوب غرفة الاستقبال ، وإذا بعاطف يضحك ضحكات عالية ، وأطلت أحلام ونبيلة برأسيهما ، ومراد يقول :

— سامى ح يقابل الناس من غير بنطلون .

ونظر سامى إلى ساقيه العاريتين ، ثم عاد مهرولا إلى غرفته ، فقامت له نبيلة وهى ترمقه فى زراية :

— بلاش خفاقة والنبي .

وأتمت أحلام ارتداء ملابسها وتقدمت فى تودة إلى غرفة الاستقبال ، وما إن لحها مصطفى علوان حتى قال مرحبا :

— أهلا .. أهلا بعروستنا .

ونهبوا جميعا لاستقبالها ، وصافحتهم واحدا واحدا ثم استدارت

لتجلس في كرسى بعيد ، فقال شفيق وهو يفسح لها مكانا إلى جوار جلال :

— ح تروحي فين ، محللك بقى هنا .. جنبه .
وأطرقت رأسها حياء ، ثم اتجهت إلى الكرسي المجاور لكرسي جلال وجلست .

وجاءت نبيلة في خطوات راقصة ، وتقدمت ثابتة الخطو وسامى ومراد خلفها ، وقالت وهى ترفع يدها إلى رأسها بالتحية :

— السلام عليكم .

ورد الجميع :

— وعليكم السلام ..

واتجهت إلى مقعد مواجه لمقعد شفيق وجلست ، وقعد بالقرب منها سامى ومراد .

ولاحظت أم جلال أن نبيلة تطيل النظر إلى شفيق فى استغراب ، فقالت :

— شفيق ابن خال جلال ، كانوا سوا فى المدرسة ، انتقلوا مع بعض من فصل لفصل ، لغاية ما خلعوا الجامعة سوا .

وأقبلت زينب وصافحت الجميع ، وما إن استقرت فى مقعدها ، حتى أخرج جلال من جيبه علبة صغيرة من الخمّل الأحمر ، وفتحها وتناول منها دبلّة راح يضعها فى أصبع أحلام ، وقد أطرقت خجلا ، وإن كانت كل خالجة فيها تنطق بالفرح .

وقال له شفيق :

— حيلك . مالك مستعجل كده ؟

فقال والد جلال :

— خير البر عاجله .

والتفتت أم جلال إلى زينب وقالت :

— ما فيش حد يعرف يزغرط ؟

ولم تنبس زينب بكلمة ، كانت الدموع تترقرق في مآقيها ، وأحست أن الأنظار ستوجه إليها ، فنهضت وقالت :

— اتفضلوا .

وقام الجميع ، وقال شفيق وهو يفسح الطريق لأحلام وجلال :

— العريس والعروسة الأول .

فقال جلال لوالده ووالد أحلام ، وهو يشير بيده :

— اتفضلوا .

فقال مصطفى علوان وهو يتنسم :

— انتم الأول النهارده — دا احنا ما جيناش إلا عشانكو .

وتقدم جلال وأحلام ، ثم سار الجميع خلفهم ، ومراد يشق طريقه بينهم ، والتفت شفيق ، فإذا بنبيلة تسير إلى جواره جنباً إلى جنب ، فرفت على شفتيه بسمه رقيقة .

وجلسوا حاول المائدة ، جلال وإلى جواره أحلام وإلى جوارها والدة جلال ، ثم نبيلة فسامي ، وجلس مصطفى علوان في صدر المائدة ،

وجلس حسين أمام جلال وإلى جواره زوجته ثم شفيق ومراد .
ومدت أم جلال يدها ، ورفعت الأطباق من أمام أحلام وقالت :
— النهارده تاكلى انتى وجلال فى طبق واحد ، عشان ما تفترقوش عن
بعض أبدا .

وأطرقت أحلام حياء ، وقالت أم جلال لابنها :
— اقطع لقمه وغمسها فى الملح وكلوها سوا ، عشان يبقى بينكو
عيش وملح .
وابتسم جلال ، وبقي مترددا برهة ، فقال شفيق مشجعا :
— يللا يا جلال ياللا .

وتناول جلال لقمة خبز غمسها فى الملح ، ثم قسمها جزأين ، وغيب
جزءا فى فمه ومد يده بالجزء الآخر إلى فم أحلام فالتقمته وقد تضرع
وجهها بلون الدم ، والتقت عينها شفيق بعينى نبيلة ، فإذا بها تنفجر
ضاحكة ، فسددت إليها أمها نظرة زجر قاسية .

وقال حسين وهو يشير بيده إلى الطعام المكسد على المائدة :
— اتفضلوا .

وقال شفيق وهو يغرف الحساء بالمغرفة :
— ياما حضرت خطوبات كثير ، وكتب كتاب وأفراح ، ماشفتش
حكاية العيش والملح دى ولا الأكل فى طبق واحد .

فقال حسين وهو يتسم :

— اللى يعيش ياما يشوف .

فقال مصطفى وهو يضحك :

— مهما عاش مش ح يشوف اللى شفته .

والتفت إلى زوجته وقال مداعبا :

— الست دى ياما ورتنى ، ورتنى كثير .

ورمقته زوجته من طرف عينيها وقالت :

— يا راجل عيب .

— هو انا قلت حاجه ! أنا قلت إنك ورتينى كثير ، لكن ما قلتش

ورتينى إيه ، يمكن ورتينى حاجات حلوه كثير .

وشاع السرور ، وتوجت الابتسامات الشفاه ، وراح جلال وأحلام

يتناولان طعامهما فى طبق واحد ، وتعمد جلال أن تمس يده يد أحلام ،

والتقت عيونهما أكثر من مرة فى لمحات كانت أفصح من حديث طويل .

وانتهز مراد فرصة انشغال الجميع فى الحديث ، فترك الشوكة

والسكين وراح يعالج قطعة الدجاج بيده .

وعلى حين فجأة ارتفع بكاء هالة ، فوقف فم أمها عن الحركة ،

وقطبت جبينها ، ثم التفتت إلى نبيلة وقالت :

— هاتى أختك .

ونفضت نبيلة وغادرت المائدة ، وصوت هالة يدوى فى المكان،

وأراد مصطفى أن يزيل ذلك الحرج البادى على وجه أمها وأبيها فقال :

— عقبال ما نفرح بيلك يا شفيق .

فقال شفيق وهو يدس ورك دجاجة فى فمه :

— قريب إن شاء الله .

فقلت له أم جلال :

— ما كنت بتقول مش ح تتجوز أبدا .

فقال حسين :

— الجواز نص الدين .

فقال شفيق مبتسما :

— دا النص الحلو فيه .

وعادت نبيلة تحمل هالة ودفعت بها إلى أمها ، فأجلستها على
فخذها ، وراحت هالة تعبث بكل ما تصل إليه يدها ، عبت بالشوكة
مرة ، وبالسكين مرة أخرى ، ثم وضعت كفها في طبق به ملوخية ،
ورفعته ومررته على وجه أمها ، وتحملت الأم مضايقات ابنتها في صبر ،
وإن كان الحنق يكاد يمزق صدرها .

وانتهوا من تناول طعامهم ، فغادروا المائدة وعادوا إلى غرفة الاستقبال
إلا مصطفى وحسينا اتجها إلى المكتب .

وأخرج مصطفى من جيبه رزمة أوراق مالية ، ودفع بها إلى حسين ،
وهو يقول :

— الشقة بعد أسبوعين ح تكون فاضيه ، اللي تشتروه تقدرؤا تبعثوه

على هناك على طول .

فقال حسين وهو مأخوذ :

— إن شاء الله .

— ربنا يتمم بخير .

ولاحظ مصطفى أن حسينا يعاني ذلك القلق الذى يحسه المقدم على مغامرة ، فقال له ليرفه عنه :

— دا كل شىء قسمه ونصيب ، أنا ربنا رزقنى بالست بتاعتى كانت سبب سعدى ، فهمتها وعرفت بركتها فى ، ما كنتش أعمل حاجة إلا لما آخذ رأيها فيها ، وإن قالت يمين أنا أعمل شمال ، أعمل عكس رأيها على طول ألاقى الحاجة مشيت وبقت عال .. ده توفيق كبير .. رضا .

وابتسم حسين وقال :

— إن اتزئقنا فى حاجة نبقى ناخذ رأيها .

— خلاص بقى بقينا أهل ، وادى انت عرفت السر .

ونفض مصطفى وقال :

— بللا نقعد مع الأولاد .

واتجهوا إلى غرفة الاستقبال ، ودخل مراد إلى الشرفة ينظر ، فرأى عاطفا وسوسن يعبثان فى سيارة شفيق ، ويفرغان الهواء من إحدى العجلات ، فأسرع إلى أبيه وقال له هامسا .

— عاطف وسوسن فسوا عجلة الأتومبيل .

فأشار الأب برأسه إلى سامى أن يتبعه ، وخرج من الغرفة ومراد معه ، فإذا بسامى ينفض ويتجه إليهما ، وقال الأب :

— العفارىت فسوا عجلة الأتومبيل ، لازم تنفخها بأى طريقه .

فقال سامى :

— آخذ مفاتيح العربيه من شفيق واشوف عنده منفاخ ، وأنفخها .
فقال الأب لسامى :

— أنا عايزك تنفخها من غير ما يعرفوا .
فقال سامى :

— ح انفخها ببقى !

وقال مراد :

— أنا اروح للعجلاقي . وح اخليه يجيب منفاخه وييجى ينفخها .
والتفت الأب إلى سامى وقال له :

— هو انت ما تعرفش تتصرف أبدا ؟

وهو رول مراد منصرفا ، وعاد الأب وسامى خلفه شاخا بأنفه ، وما
إن لمحتة الأم حتى نادته :

— سامى ، تعال .

ودنا منها ، فقالت له هامة :

— خد نبيلة وروحوا شيلوا الأطباق والحاجه من على الترايزه .

والتفت ناحية نبيلة ، فألفاها تتحدث مع شفيق وجلال وتضحك ،
فرآها فرصة سائحة ليعكر صفوها فقال بصوت عال :

— نبيله . تعالى .

والتفتت إليه نبيلة فى ضيق وقالت :

— إيه ، عايز إيه ؟

وأحست الأم بداية العاصفة ، فقالت فى حزم :

— نبيله روجى معاه .

وسار سامى ونبيلة خلفه ، حتى إذا ابتعدا عن الغرفة قليلا ، قالت :
— نعم ؟

فأشار إليها بأصبعه ناحية المائدة ، فقالت له فى غيظ :

— ما تنطق عايز إيه ؟

— عايزينك تشيلى الأطباق اللى ع الترايزه .

— وكانت قد وصلإلى المائدة ، فراح سامى يستعرض ما عليها بنظرة

ازدراء ثم قال :

— أنا عارف هوام إيه اللى ياكلوا ويسيبوا الترايزه بالشكل ده !

— إذا كنت ح تشتغل ، اشتغل من غير ما تتنفس بكلمه أحسن لك .

وراحا يتنقلان بين المائدة والمطبخ ، يحملان الملاعق والسكاكين والشوك والصحاف ، دون أن يتبادلا كلمة . كان سامى يحمل الأشياء وذراعه مبسوطتان حتى لا تتسخ ثيابه ، بينما تسير نبيلة على أطراف أصابع قدميها ، كأنها ترقص على مسرح .

وبدأت فى جمع الفوط ، ووجدت كوبا موضوعا فوق فوطة ، فجذبت الفوطة بقوة ، فصارت فى يدها بينما ظل الكوب على المنضدة . ورأى سامى ما فعلته ، فأراد أن يقلدها ، جذب فوطة ليخلصها من طبق موضوع فوقها ، فصارت الفوطة فى يده ، ولكن الطبق سقط على الأرض ودوى صوت تكسره ، وصك الصوت أذنى الأم فضمت هالة إليها فى غيظ ، وإن ظلت البسمة تتوج شفيتها .

ولاحظ مصطفى كثرة تلفت حسين صوب الباب ، فقام وقال :

— نستأذن بقى .. يللا يا جلال .

فقال شفيق :

— إذا كان على جلال مش عايز يمشى أبدا .

وقال حسين وزوجته :

— والله ما انتو نازلين دلوقت . بدرى .

واتجه حسين إلى مصطفى وقال له وهو ينظر في الشرفة ، ويرى مراد

و« العجلاقي منهمكين في نفخ عجلة السيارة .

— والله لانت قاعد .

وقال شفيق وهو ينهض :

— ما تيجو معانا في العريية تشموا هوا .

فقالت زينب وهى تنظر إلى هالة :

— والأولاد !

— ييجوا معانا .

فقالت الأم وهى تبتسم :

— هو دا معقول . فيه عرييه تاخذنا كلنا إلا إذا كانت أمنيوس .

واشرأب حسين بعنقه ، ونظر من خلال الشرفة ، فوجد مرادا

والرجل منهمكين في نفخ العجلة ، فقال وهو يجلس :

— والله ما انتوا نازلين دلوقت . اقعدوا شويه .. اقعدوا .. قهوه

يا نبيله .

فقال مصطفى :

— والله ما احنا قادرين نشرب حاجه ، نقعد ولا نشربش .

فقال حسين وهو يتنفس في راحة :

— طب اقعدوا .

وجلسوا ، وأقبلت نبيلة وسامى ، وقال شفيق وهو يحاول أن يقهر

نفسه ويرغمها على عدم التطلع إلى نبيلة :

— طب نيجى بكره ناخدكم ونتفسح شويه .

فقالت زينب :

— كتر خيرك ، وما تتعشى نفسك ، مش ح نقدر نخرج .

وقال جلال ، دون أن يحيد نظره عن أحلام :

— ناخذ الأولاد .

وضحك مصطفى وقال :

— ما بلاش لف ودوران وتقولوا إنكم عايزين تفسحوا أحلام .

وأطرقت أحلام في خفر ، وقالت نبيلة في بساطة :

— ليه ما نتفسحش بكره ، ما فيش ورانا حاجة ؟

وحدجتها أمها بنظرة تأنيب ، وقال لها أبوها :

— انتى حاشرة نفسك ليه ، هو حد عزمك ؟

وقال سامى :

— زى البصل محشوره في كل حاجه .

وقال شفيق :

— بكرة نيجى ناخذ أحلام وسامى ونبيله .

وقالت الأم :

— والنبي ما تفتحش على نفسك الفاتحه دى .

وقال سامى :

— بكرة الساعة خمسہ تلاقونا جاهزين .

وجاء مراد وفى يديه ووجهه آثار شحم ممزوج بالتراب ، والعرق يتفصد من وجهه ، ووقف بعيدا وجعل يشير لأبيه بيديه أن النفخ قد انتهى ، وأنه يريد نقودا للرجل .

وهم أبوه بالذهاب إليه ليعطيه ما يطلب ، ولكن الأم لمحتة ، فصاحت :

— درمغت نفسك فى إيه كده ، ركبت عجل تانى ؟

فقال مراد وهو ينظر إلى أبيه :

— هو عارف .. هو اللى قال لى .

— قال لك تدرمغ نفسك كده !

وكان أبوه قد وصل إليه ، وأعطاه نقودا فانصرف مهرولا ، ورأت

الأم ذلك فقالت لزوجها فى تأنيب :

— بقى يوسخ نفسه وتديه فلوس ! أنا مش فاهمه .

وأحست أن الأنظار اتجهت إليها ، فكظمت غيظها وقالت :

— أهلا وسهلا . شرفتونا .

وقال مصطفى وهو ينهض :

— نستأذن بقى .

وقال حسين :

— خليكو على راحتكو .

وكان ذلك إيذانا بالانصراف ، فنهض الجميع وراحوا يتصافحون ، وقد اختلطت أصواتهم ، وظل جلال يهمس بحديثه لأحلام ، وكان آخر من انصرف :

وخف حسين وزوجه وسامى وأحلام ونبيلة ومراد الذى عاد بعد أن أعطى الرجل نقوده إلى الشرفة يرقبون ضيوفهم وهم ينصرفون .
أسرع شفيق يفتح أبواب السيارة ، وتقدم مصطفى وزوجته فى تودة ، بينما حمل جلال عاطفا بين يديه وقال له :

— عملت إيه بالقرش ؟

— اشتريت طباشير .

— فين هو ؟

— خلص . كتبت بيه ع الأتومبيل .

ونظر جلال إلى السيارة فإذا بها قد غطيت بخطوط ودوائر بيضاء ، وأن بابها كان أشبه بسبورة كتب عليها : زرع . درس . وزن . فقد شاركت سوسن أخاها فى استهلاك الطباشير .

ووضع جلال عاطفا على الأرض ، وضربه مداعبا على مؤخخته ، وقال له :

— اطلع على فوق .

ورفع بصره ، فأنجذب إلى أحلام ، كأنما لم يكن في الشرفة غيرها ،
فابتسم لها ولوح بيده مودعا ، ثم سار إلى السيارة وركب إلى جوار
شفيق .

وغابت السيارة عن العيون ، فقالت الأم :

— ياللا . كلكوع المطبخ .

وقالت نبيلة :

— يا ماما ورايا مذاكرة .

— اشمعنى المذاكره حليت دلوقت ؟ قدامى ع المطبخ الى سايبينه
لايص وواقف على رجل .

وانسلت أحلام ونبيلة وسامى ومراد ، وبقي الزوجان وحدهما في
الغرفة ، فالتفتت الزوجة إلى زوجها وقالت :

— هيه . عملت إيه مع مصطفى ؟.

— دفع لى المهر .

— وقلت له إن النجف والمشمع وحاجة المطبخ عليه هو انه يجيبها ؟

— ما قتلوش .

— ما قتلوش ليه ؟

— ما جتش فرصه .

— ما جاتش فرصه واللا انت انكسفت ؟

— والله أنا مش فاهم الكلام ده . اشمعنى العريس يجيب النجف

والمشمع وحاجة المطبخ ؟.

(أم العروسة)

- الدنيا كلها ماشيه على كده .
- ما شفتش حد ماشى على كده إلا انتو .
- قصدك تقول إننا خيلناك تجيب حاجات ما حدش يجيبها ؟!
- كل العرسان بتجيب الحاجات دى ، وان ما كنتش مصدقنى اسأل .
- ولا بسأل ولا حاجه .
- بلاش ، أصل فلوسك كتير ، قال على رأى المثل .
- ما تقولى المثل إيه .
- أنا عارفه ؟!
- وذهبت إلى المطبخ ، وانطلق خلفها ليعاون أولاده ، وهو يغمغم :
- قال على رأى المثل : « عقلك فى راسك ، اعرف خلاصك » .

الفصل التاسع

كانت الردهة خالية ، ولكن لم يكن للصمت فيها مكان ، فالأصوات منبعثة من غرفة الوالدين ، وغرفة الأولاد وغرفة البنات ، كان الجميع يتكلمون وما كان أحد يصغى إلى ما يقال ..

وقالت الأم :

— بس يا مراد ، انزل يا عاطف من ع الكرسي ، وانتى يا سوسن ابعدى من هنا بلاش وجع دماغ .. أوه يا سامى بلاش مناهده بقى .. ما كفايه يا نبيله كلام .

فكانت أشبه بمذيع فى مباراة كرة حامية .

وخرجت أحلام من غرفتها ، ترتدى ثوبا ورديا ، ضاق عند خصرها غاية الضيق حتى ليحار المرء إذا ما فكر كيف مر ذلك الثوب من صدرها المتلئع عند ارتدائه ، واتسع غاية السعة عند طرفه ، وزينت جيدها وأذنيها وصدرها بعقد وأقراط و « بروش » من طراز واحد ، وكان شعرها ينطق ببراعة الحلاق .

ومرت فى الردهة ، والأصوات تتناثر هنا وهناك ، فلم تحفل بها ، كانت مشغولة بنفسها تعيش للحظة التى سيقدم فيها جلال ليأخذها لأول نزهة بكل حواسها ، والتفتت إلى الساعة المعلقة فى الردهة ، فإذا

بها الخامسة إلا خمس دقائق ، فقالت :

— يالالا يا نبيلة زمانهم جاين .

فقالت نبيلة وهى تديم النظر فى وجهها فى المرأة :

— أنا خلاص لبست .

وقال سامى وهو يحاول أن ينيم شعره الذى كان أشبه بعرف الديك :

— وانا جاى ااه .

ودنا مراد من أبيه وقال فى غضب :

— واشمعنى سامى الى يروح معاهم ؟

فقالت له الأم :

— المرة الجايه تروح معاهم .

وقال سامى فى غطرسة :

— حتى انت ليك نفس ، يا شيخ روح طلع الخبر من صوابحك قبله .

وقال مراد فى عناد :

— لازم اتفسح النهارده . ماليش دعوه .

ودنت سوسن من أمها وقالت :

— عايزين نتفسح — اشمعنى هم يخرجوا ؟

وأسرع عاطف إلى أبيه وقال له :

— آه يا بابا نتفسح ، والنبي نتفسح .

ورق قلب الأب لأولاده ، فقال لهم :

— طب البسوا وانا أفسحكم .

فقال سامى وهو فى طريقه إلى غرفة أبيه :

— يا بابا تاخذ مراد معاك ازاي وشعره طويل كده .. لما يخلقه قبله .

فقال مراد فى تحد :

— وانت مالك ؟

— ما هو يا ماما ..

فقاطعته أمه :

— بس مالكش دعوه بيه . روح انت مطرح ما انت رايح .

وقالت سوسن وهى تتمسح بأبيها :

— هم ح يركبوا أتومبيل ..

فقال لها الأب :

— ح اركبكم أتومبيل .

وقال عاطف فى فرح :

— وانا اللي اسوقه .

فقال لأب وهو يعبث فى شعره فى حنان :

— وانت اللي تسوقه .. ياللا روحوا البسوا .

وخرجوا من غرفة أبيهم فرحين ، مراد يخلع جاكته بيجامته ،

وسوسن تحاول أن تخلع ثوبها وهى فى طريقها إلى غرفتها ، وعاطف

يصيح :

— لبسونى .. لبسونى ..

وقالت أمه وهى تضع هالة بجوار أبيها :

— طيب . أنا جايه البسك .

والتفت الأب إلى هالة وقال مداعبا :

— وانتي .. مش عايزه تنفسحى ؟

فقال الأم وهي تهتم بمغادرة الغرفة وعاطف في يدها :

— يا ريت تاخذها معاك وتريجينى .

ونظر الأب إلى هالة ، فإذا بعاطفة الحنان تتحرك في جوفه ، وإذا بأساريه تنبسط ، وإذا به يمد يديه ويحملها ، ويضمها إلى صدره ويقبلها .

وبلغ صوت نداء سيارة آذان الجميع ، فحدث في الشقة هرج شديد ، راحت أحلام تهرول صوب باب الشقة في فرح وفي أثرها نبيلة وسامى ، وقد أخذ سامى يصيح :

— أبوه . نازلين .

وقالت سوسن في غضب :

— اشمعنى هم ينزلوا قبله .

وجرى عاطف إلى والده حافى القدمين ، وجذبه من بنطلونه الذى كان يرتديه ، وقال له :

— ياللا احنا كان ننزل بقى .

فقال له أبوه وهو يدفعه في رفق :

— روح كمل لبسك ، وتعال ننزل .

وخف مراد إلى الشرفة يرقب إخوته .

تقدمت أحلام إلى السيارة في دلال ، وإن كانت المشاعر الرقيقة المنبعثة في جوفها انعكست على مرآة وجهها ، وضيق من خطوها ، ولو طاوعت نفسها وأطلقتها على سجيته الهرولت وهى تنادى : « جلال .. جلال » .

وتقدمت نبيلة في رشاقة كأنما تسير على أطراف أصابعها ، وقد شمخت برأسها في كبرياء ولم تغير صفحة وجهها مسحة من كبر ، وسار سامى وهو ينقل عينيه بين أحلام ونبيلة والسيارة . كان المراقب الذى يخشى أن تشرد منه شاردة ، أو يأتى أحد المراقبين بحركة في غفلة منه ! وقفز شفيق من السيارة في رشاقة وفتح بابها ، فحitte أحلام بإيماء من رأسها ، ومدت بصرها فألفت جلالا جالسا خلف عجلة القيادة ، فصعدت لتشاركه في المقعد الأمامى وهى تقول فى نبرات مشحونة بالعاطفة المشبوبة :

— مساء الخير .

فقال جلال مغازلا :

— مساء النور ، مساء الجمال .

وقالت نبيلة وهى ترفع يدها إلى رأسها ، فقد نسيت كبرياءها المصطنعة ، وعادت إلى طبيعتها :

— السلام عليكم .

فقال شفيق وجلال :

— عليكم السلام .. أهلا .

ومدت يدها وصافحت شفيقا ، ثم صعدت إلى المقعد الخلفى ، وهى تمد يدها إلى جلال لتصافحه .

وهز سامى رأسه محييا ، وغمغم بعض كلمات لم يفهم منها شئ ، ولكنها أولت على أنها تحية . ووقف برهة مترددا يفكر . وإذا به لأول مرة فى حياته يتمنى لو أن أحد إخوته قد جاء معهم ، حتى يجلس بين أحلام و جلال ، بينا يجلس هو بين نبيلة وشفيق ، حتى يطمئن إلى عدم تماس أجسام البنات بأجسام الشباب .

وفى مثل لمح البصر تذكر أن هناك خطبة بين أحلام و جلال ، وأنه لا غضاضة من تركهما جالسين فى مقعد واحد دون عازل ، ما دامتا تحت بصره وسمعه ، فصعد وجلس إلى جوار نبيلة ، وقعد شفيق إلى جواره وأغلق باب السيارة خلفه .

وانطلقت السيارة ، وقال جلال وهو ينظر إلى أحلام :

— تحبوا تروحوا فين ؟

قالت نبيلة فى نشوة :

— نروح الهرم ، أنا مارحتوش من أيام ما كنت فى ابتدائى ، لكن لسه فاكره المنظر الجميل اللى شفته هناك ساعة الغروب ، منظر بديع ، كانت الشمس وهى نازله زى ..

وقال سامى مقاطعا :

— إيش ودانا لهنالك ؟

فقال شفيق وهو يديم النظر إلى نبيلة ، دون أن يأبه لعينى سامى

المحملتين :

— فكره جميله ، أنا موافق ع الهرم .

وقال جلال لأحلام :

— وائتى ، رأيك إيه ؟

فقلت وهى تغوص فى مقعدھا :

— مطرح ما تحبوا .

فقال شفيق :

— يعنى موافقه . خلاص نبقى أغلبية . ع الهرم .

وصمت سامى على مضض ، وإن راح يمضغ غيظه ، وقال شفيق

لنبيلة :

— كملى . كنتى بتقولى : كانت الشمس وهى نازله زى .. زى

إيه ؟

فقلت وهى تضحك :

— والله ما انا فاكهه ، أنا لما حد يقاطعنى وانا باتكلم يطير كل اللى فى

نخى .

فقال سامى فى شماتة :

— الحمد لله إنه طار ، وإلا كنا ح نفضل نسمع للصبح .

فقلت له فى تهديد :

— سامى ، لم لسانك أحسن لك .

وأحس جلال أن الجو بدأ يتكهرب ، وأن نقاش نبيلة وسامى

سيخرجه من الجو الشاعرى الذى بدأ يستشعره ، وهو قابض على عجلة القيادة وأحلام إلى جواره ، والنيل ينساب رقراقا كمرآة سحرية تعكس أفانين من الجمال ، تفجر ينابيع الحب والهيام ، فضغط على زر راديو السيارة فإذا بأنغام عذبة تنبعث حنونة ، فتهدئ الأعصاب التى بدأت تثور ، وتجعل الجميع يسترخون حاملين فى مقاعدهم .

ودنت أحلام من جلال ، ومالت برأسها نحوه ، ثم أسندته على مسند المقعد ، وراح شفيق ونبيلة يتبادلان النظرات ، ثم يطبقان الأجنان حتى لا تفر رؤى الأمانى العذاب ، التى كانت الموسيقى تفتق مواهبها ! ونظر جلال إلى أحلام ، فألفاها ترمقه بعينين والهتين ، فيهما حب وفيها رغبة وفيهما نداء ، فراح يديم إليها النظر ، وتخطبت العيون ، وانبثقت الأحاسيس ، وولدت اللحظات المسحورة التى تنتشى فى ذاكرة المحبين ، وتحتزن فى سويداء القلوب ، لتعيش الأفتدة عليها فى السنين العجاف .

وفقد جلال سيطرته على حواسه ، كان فى شبه غيبوبة ، استرخت قبضته على عجلة القيادة فإذا بالسيارة تنحرف ، وتكاد ترتطم بشجرة ضخمة من الأشجار المغروسة على جانبي الطريق .

وصاح سامى فى فزع :

— حاسب ح نروح فى داهية .

وأفاق جلال من حلمه ، وفى مثل لمح البصر سيطر على السيارة ، وأبعدها عن الخطر ، فأحدث احتكاك العجل بالأرض صوتا غطى على

صوت الموسيقى ، ولكن سرعان ما تلاشى ، وسرت مرة أخرى الألمان
الحالة .

وتأهب من في السيارة ليستأنفوا شرودهم اللذيذ ، وإذا بصوت
سامى يعكر صفاءهم :

— والنبي تدور لنا محطة غير دى .

ومد جلال يده إلى الأزرار ، والتفت سامى إلى نبيلة وقال :

— شورتك كانت ج تودينا فى داهية .. كان لازم الهرم ١٩ حبكت !
فقال شفيق :

— حصل خير .. مين عارف كان ح يحصل إيه لو كنا رحنا فى حته
تانيه .

وأرضى نبيلة انبراء شفيق لتأييدها والدفاع عنها ، فمنحته بسمه
اعترافا منها بجميله .

وانطلقت السيارة حتى إذا لاحت الأهرام فى الأفق ، قالت نبيلة فى
انشراح :

— الأهرام أهيه .. مش عارفة أنا فرحانه كده ليه ، متبياً لى إنى
رجعت عيله صغيره .. عايزه اتنطط واجرى ، تعرقوا لو توافقوني على
عقل ، تقفوا هنا وانزل أجرى .. أجرى لغاية ما اوصل الهرم .

فقال أحلام ، وهى تبسم :

— تجرى من هنا لهنالك ؟. كان انقطع قلبك .

وملاً شفيق رثيته بالهواء وقال :

— حاجة لطيفة . تيجو نوقف العربيه ونجري شويه .

فقال له جلال :

— اعقل .

فقال شفيق :

— والله نفسى أجرى . بقى لى زمان .

— طب استنى لما نوصل فوق .

ونظر شفيق إلى نبيلة ، وقال دون أن يبعد عينيه عنها :

— سامى . تسابقنى ؟

فقال سامى فى غرور :

— ح اسبقك . ما فيش كلام .

فقال شفيق :

— الميه تكذب الغطاس .

وقالت نبيلة :

— وانا ح اخش معاكم فى السباق ده .

فقال لها سامى :

— نفسى تبطلى غلبة ، ولا تحشريش نفسك فى اللى مالكيش فيه .

وصعدت السيارة المنحدر ، ووقفت عند سفح الهرم الأكبر ، وفتح

شفيق الباب وهبط يتبعه سامى ثم نبيلة ، بينا ظل جلال وأحلام فى

مكانهما يصغيان إلى الموسيقى .

ودارت نبيلة دورة على أطراف أصابع قدميها ، وقالت :

- احنا مش عايشين . آدى الحياة .
فقال لها سامى وهو يهز رأسه أسفا :
— نفسك تسيبى على طول .
— نفسى أبقى حره .. طليقه .. زى النسيم .
فقال لها سامى :
— ح نمثل .. شياطين الفن ح تتحرك .
فدنا منه شفيق وقال له :
— انت فى سنه إيه ؟
— أولى ثانوى .
فقال شفيق فى استنكار :
— لسه أولى ثانوى .
فقالت نبيله وهى تضحك :
— ما هو أولى ثانوى دلوقت .. يعنى تالته ثانوى زمان .
— دى حاجه تلخبط . ما افهمش حاجة فى النظام الجديد ده أبدا
لدرجة إنى فكرت مره أعمل جدول معادلات .. وانتى فى سنه إيه ؟
فقالت فى فخر :
— فى تالته ثانوى .
— ودى تساوى إيه فى جدول المعادلات ؟
— توجبهى .
— وناويه بعد ما تخلصى تقعدى فى البيت زى أحلام ؟

فقلت وهى تشب على أصابع قدمها :

— لأ .. ح اروح الجامعه ، وح ادخل كلية الطب .

فقال لها سامى :

— دا بعدك .

— بكره تشوف .

— بكره تشوفى انت .

وقال شفيق :

— ياللا مش ح نتسابق ؟

وراح يخلع جاكته ، ففعل سامى مثله ، ومد شفيق إليه يده بالجاكته

وقال :

— والله لو تسمح تودى الجاكته دى معاك فى العريه .

وتناول سامى الجاكته ، وذهب إلى السيارة ، وأحست أحلام دنوه

فرفعت رأسها عن صدر جلال ، والتفت إليه ، فإذا بجلال يلتفت ويقول :

— ناويين على إيه ؟

— ح نتسابق .

واقترب شفيق من نبيلة وقال لها :

— وليه ما تقعديش فى البيت زى أختك ؟

— أقعد فى البيت أعمل إيه ؟

— تعملى زيها .

— أملا قلل واغسل وإطبخ وامسح . لا .. دانا ح ابقى دكتور .

دكتور مشهوره .. أنا شايفه اليافته دلوقت على العياده .. » الدكتور
نبيلة حسين .

— بقيتي دكتور مشهوره . وبعدين ؟

وقالت مفكرة : .

— وبعدين ؟ وبعدين ؟ مش عارفه .. ما فكرتش .. كان أملى إني

أبقى دكتور .

وابتسم شفيق ، ووصل إليهما سامى ، وقال :

— ياللا . اقفوا جنبى هنا ، شايفين الحجر الكبير اللى هناك ده ؟ ح

نجرى لعنده ونرجع للعريه .

واصطفوا صفا واحدا ، والتفت سامى إلى السيارة وقال :

— أحلام . خدى بالك . ح نبتدى .

وقالت أحلام دون أن تلتفت :

— حاضر .

واستأنف جلال حديثه وأحلام ترنو إليه فى وله :

— تعرفى ، نفسى اكون أنا وانتى لوحدنا فى جزيره ، ما شفش غيرك

ولا تشوفيش غيرى ، واسمعلك لوحدى ، وما تسمعيش غيرى .

فقالت وهى تبسم فى إغراء :

— وإن زهقت ؟

— مش معقول أزحق وانتى جانبى .

وازدادت قربا منه ، ورفعت بصرها إليه ، فإذا به يهوى عليها ويقبلها

وهو يضمها فى قوة .

وارتفع الصباح ، فالتفت جلال وأحلام ، فوجدا أن سامى وشفيق
فى عودتهما بينا لم تصل نبيلة إلى الحجر .

وقفت نبيلة ، وتلفت شفيق نحوها وخفف من سرعته ، وراح سامى
يعدو بأقصى سرعته مزهوا بنصره .

ووقف شفيق ، وانتظر حتى وافته نبيلة وسارت إلى جواره تلتفظ
أنفاسها ، وقال لها :

— تعبتى ؟

— حاسه إن قلبى ح ينط من بقى ، وإن رجله مش قادره تشيلنى .
ومد لها ذراعه وقال :

— طب اسندى على .

وترددت ، وإن كانت تلهث ، وتحس قواها تخور ، وفطن إلى تردها
فمد لها يده ، فإذا بها تضع يدها فى يده ، وتسير معه .

وصاح سامى فى فرح وهو مستند إلى السيارة :

— لما انتو مش قد الجرى ما تبقوش تتغالبا .

وأدار وجهه ناحية الغرب ، فإذا بالشمس فى الغروب . فهتف :

— ما تمدي يا نبيله شويه عشان تشوفى المنظر الجميل الى عجبك قبل

الشمس ما تغيب .

وقال لجلال وأحلام :

— ح تفضلوا لابدين فى العريه كده . مش ح تنزلوا شويه ؟

فقال جلال وهو يفتح باب السيارة :

— آدى احنا نازلين .

ووقف الجميع برهة صامتين ، وهم يرصدون الشمس وهي تغوص في الأفق البعيد .

وركبوا السيارة وقد خيم الظلام على المكان ، وقفلوا عائدين وقد سيطر عليهم السكون ، صمت الراديو وركن سامى إلى الهدوء ، حتى نبيلة لم تنبس بكلمة ، كانوا جميعا يجترون الحوادث التي انزلت من لحظات من دنيا الواقع إلى عالم الذكريات ، وقد راحت يد الخيال تنمقها فتزيدها فتنة وجمالا .

ولاح في وجه جلال وجد وهيام ، فمد يده ووضعها فوق يد أحلام ، ليربط ما يدور برأسه بواقعه الذى يعيش فيه .
وبلغت السيارة الدار ، فأفاق الجميع من أحلامهم ، وفتح الباب الخلفى وهبط شفيق وسامى ونبيلة ، ثم فتح الباب الأمامى وهبطت أحلام وهي ترنو إلى جلال وتقول :

— مش ح تطلع شويه ؟

— معلش المره دى .. بقينا ليل .. المره الجايه .

ومدت يدها وصافحته ، ثم صافحت شفيقا ، وانطلقت مرحة ، وقالت نبيلة :

— السلام عليكم .

ولكنها لم تنصرف ، بل مدت يدها إلى شفيق تصافحه ، وأحست يده تضغط على يدها ، فخفق قلبها ، ونظرت إليه فإذا في عينيه نور

يأتلق ، فاستشعرت كأن تيارا كهريا سري في روحها فزلزل كيائها .
وتسمرت لحظة ، وقد اسنبد بها اضطراب لذيذ ، وأحست في لمحّة
أنها تغيرت ، لم تعد طفلة ، فقد راحت تمور في أغوارها مشاعر ناضجة !
ودارت على عقبيها ، وسارت في تودة ، كانت تستشعر كأنما صارت
طيفا ، ومع ذلك لم تنطلق في خطوات راقصة على أصابع قدميها
كعادتها ، بل انسابت في رزانة ، تطأ الأرض بكل قدميها .
ووقف سامي يودع جلالاته وشفيقا ، ولم يتحرك إلا بعد أن ابتعدت
السيارة وابتلعها الظلام .

وصعدا إلى الشقة وإذا بمراد وسوسن وعاطف يخفون إليهم ويلتقون
بهم ، ويسألونهم في صياح :
— رحتم فين ؟ . رحتم فين ؟
فقال سامي في فخر :
— الهرم .

وقالت سوسن في حزن :
— بابا ضحك علينا ، وركبنا تاكسي شويه صغيره ورجعنا .
وقال مراد وهو يحاول أن يعترض طريقهم ليؤخر وصولهم إلى
غرفهم :

— تعرفوا عداد التاكسي ضرب كام ؟ تمانيه صاغ .
ودخلت سوسن على أبيها وقالت :
— أنا عايزه أروح الهرم .

وقال الأب في أسى ، فقد جرح نفسه سخرية أولاده من النزهة التى حاول أن يدخل بها السرور على قلوبهم ، كان يأمل أن يرضوا فإذا بها تخلف في نفوسهم مرارة :

— حاضر .

وأقبل عاطف وقال :

— وانا يا بابا .

وعبث بشعره وقال :

— وانت يا حبيبي .

ودخل مراد وقال :

— ألمره الجايه أنا الى ح اخرج معاهم ، اشمعنى سامى يعنى الى يخرج

معاهم كل مره .

فقالت الأم :

— هم خرجوا إلا المره دى ؟

فقال مراد وهو يعبث في كرفاته أبيه المعلقة :

— ما انا عارفه لزقه ، ما يحبش إلا نفسه وسامى أنانى خطف الفسحه

من قدامى .

فصاحت الأم فيهم جميعا :

— إيه لزمة الخوته دى دلوقت ؟. ياللا امشى بره انت وهو .

فقال مراد معترضا :

— إيه . احنا عملنا حاجه .

وهمت الأم وتحركت في مقعدها وقالت :
— والله إن ما خرجتو من هنا لضرباكم بعصاية الغليه .
وفر الأولاد من الغرفة كأرانب مذعورة ، فالتفت الأب إلى الأم
وقال :

— ليه بس كده ؟
فقالت الأم :
— دلهم يا خويا عشان يحبوك . أنا ما اعرفش ادلع . أنا أرى ..
التربية ما تنقص عمر .. قال على رأى المثل .
فقال الزوج مداعبا :
— طب المثل بيقول إيه ؟
— أنا عارفه ؟
— المثل بيقول : رى ابنك واحسن أدبه ، التربية ما تاخذ أجله .
— يا اخويا الأمثال كتير ، الواحد ح تفتكر إيه واللا إيه .
— أمال كل ما تتكلمى تقولى « على رأى المثل » ليه ؟ ذا اللي يسمعك
يحسبك قاموس فى الأمثال .
— يوه بقى .

وخلعت أحلام ونبيلة ثيابهما ، وارتدتا ثياب النوم ، وأسرت كل
منهما إلى سريرها لتعيش وحدها مع خيالها ، وجذبت نبيلة الغطاء
فوقها ، وتململت فى رقدتها وقد رفت على شفتيها بسمه حاملة .
وأحست أن الضوء المنبعث من الردهة الخارجية يشغلها عن



ساحيني يا أحلام ، ما كنتش فاهمه إني بضايقتك
لما كنت بانور الأبايجوره .. النهار بس فهمت .

الاستغراق في أوهامها ، فقامت تطفئ النور ، ومرت وهي في طريقها إلى
الزر الكهربى بعاطف وهو غارق في نومه على الأريكة ، فلم تفكر في حمله
إلى سريره ، وضغطت على الزر ، ثم عادت إلى سريرها مسرعة ، وما إن
اندست في فراشها حتى التفتت إلى أحلام وقالت :

— سامحيني يا أحلام ، ما كنتش فاهمه إني بضايقتك لما كنت بانور
الأباجوره .. النهارده بس فهمت .

فقال أحلام في تكاسل :

— فهمتى إيه ؟

فقال نبيلة وهي تنام على ظهرها وتضع كفيها تحت رأسها ، وتشرد
ببصرها :

— أنا عرفه ! فهمت كثير .

وهامتا في عالم وردى من التصورات ، ورفتا على شفتهما ابتسامات
رضا وأمان وأمل .

الفصل العاشر

وقف حسين أمام باب الشقة وفي وجهه سهوم ، ومد يده إلى زر الجرس وضغطه ، ثم أرخى ذراعه وراح يعبث في أصابعه . كانت حركاته توحى بالقلق . وفتح الباب ودخل ، وما إن خطا خطوتين ، حتى دوت زغرودة طويلة ممدودة ، وبدرت حفنة من « الملبس » على الأرض ، فانقض الأولاد جميعا يلتقطون « الملبس » المنشور .

ونظر حسين إلى زوجته في تساؤل ، فقالت :

— دى الخياطه جابت فساتين أحلام .

ودلف حسين إلى غرفته ، وزوجته خلفه ، وقبل أن يستقر على مقعده ، قالت له زوجته :

— الخياطه طالبه خمسين جنيه .

فقال وقد اتسعت عيناه :

— خمسين جنيه ! دا كثير .. كثير قوى .

— مش كثير . يا دوبك . مش فصلت أربع فساتين سهره كوكيتل وخمسه تواليت وثمانيه اسبور وست جونلات وست بلوزات وتلات بلوزات نايلون وجيون تواليت وجيون اسبور ؟

وأحس حسين رأسه يدور ، وقام إلى الصوان وفتحه وأخرج منه

خمسين جنيتها ، وقال لزوجته وهو يمد لها يده بالأوراق المالية :
— خلاص . ما بقاش معانا حاجه ، المهر اللي خدناه ، والقرشين اللي
كنا شايلينهم طاروا .

— ياما قلت لك إوعى لنفسك ، ياما قلت لك طالع لنا بنات .
— يعنى كنا حانعمل إيه ؟ ما ناكلش ! كل اللي كان بيعجينا كنا بناكل
بيه .

— برضه لو كنا وعينا لنفسنا ما كناش احتجنا لحد دلوقت . اللي
حصل .

وخرجت زينب ، وبقي حسين وحده فى الغرفة ، فالتفت إلى المرأة
وقال لصورته فيها :

— دايما انت السبب .. إنت اللي بتعزق الفلوس .. إنت اللي ما
وعتش لنفسك ، إنت اللي بتشتري كل شهر شنطه وجزمه وفستان
عشان مودة اللي اشتريتهم الشهر اللي فات اتغيرت . معلش . لك رب
اسمه الكريم .

ودست الحياطة الأوراق المالية فى حافظتها ، وقبلت أحلام ، ثم ربت
على خد نبيلة وقالت :

— عقبالك .. بس قريب إن شاء الله .
ومست أمنيها أذنى حسين فنظر إلى نفسه فى المرأة فى ذعر ، وقد فغر
فاه دهشة .

وأسرعت نبيلة إلى أبيها وقالت :

— بابا أنا عايزه فستان أبيض أنزل بيه مع أحلام .

فجرى سامى إليها حتى لا تفوته الفرصة وقال :

— غرنا ! ما تشوفش حاجه إلا لما تجيب زيها .

فالتفتت إليه وقالت :

— وانت مالك ؟

فقال لها سامى :

— مش تخلى عندك نظر .

وقالت وهى تنصرف :

— ح اجيب فستان غصب عنك .

وأخرجت له لسانها فلم يأبه بها ، لأنه أراد أن يتتيز الفرصة لنفسه ،

فقال لأبيه :

— بابا ، أنا عايز بدله كحلى وقميص أبيض وجزمه لميع .

وجاءت الأم ، وسوسن تتمسح بها ، ولما رأت أباهما قالت :

— عايزه جزمه بيضه بكعب على . اشمعنى أحلام ؟

فصاح مراد وهو مقبل :

— إيه الطمع ده ؟ ، ما عندك جزمه سوده جديده . أنا اللي ما عنديش

حاجه أبدا ، أنا عايز بدله بينطلون طويل .

فقال سامى :

— انت تلبس بنطلون طويل !

— وانت مالك ؟

وصاحت الأم فيهم :

— ابعادوا دلوقت خللوا بابا يقلع ويستريح . ياللا بره .
وانسحبوا من الغرفة ، وبدأ الأب يخلع ثيابه ، ومدت الزوجة يدها
وتناولت ثوبا صغيرا من سرير هالة ، ونشرته بين يديها وقالت في هيام :
— شوف الفستان اللي خيطته الحياطة لهاله .. مش طعم والنبي !
وخلع قميصه ، فبدت الفانلة ممزقة ، فقالت له الزوجة في إنكار :
— بقى تصرف الصرف ده وتستخسر في نفسك فانلتين ؟
— والنبي تسيينى فى حالى . أنا مش عايز حاجه ، نفسى بس أسد
بق البير المفتوح ده .

— كله ينتهى .

وأطرق صامتا ، وجلس يخلع حذاءه ، وبان فى وجهه الهم ، وساد
الصمت برهة ، وزوجه ترمقه فى قلق ، وأرادت أن تخرجه من صمته ،
فقالت له :

— أحلام عايزه أربع تطقم نايلون .

فقال فى إنكار :

— أحلام تلبس نايلون ؟

— وما تلبسش نايلون ليه ؟

— هو النايلون بيغطى حاجه . دا فضيحة .

وأرادت أن تداعبه لترفه عنه ، فقالت له :

— وانت إيش عرفك ، شفت النايلون على مين ، قول لى ؟

— شفته في الفتارين .

— يا راجل !

— ما تشوفي حاجه غير النايلون ده .

— ح نيجي ع الآخر ونكسر بمخاطرها ، نجيّب لها الأربع تطقم
وخلص ، واهي ح تلبسهم في أودتها .
فقال وقد شرد ببصره :

— ع الآخر ؟ مين اللي قال ع الآخر . قدامنا كثير ، بتاع الموييليا
عايز فلوس ، والمنجد عايز فلوس ، والنحاس عايز فلوس ، وأنا خلاص
ما بقاش معايا فلوس .

— وح تعمل إيه ؟

— عملت وخلص . طلبت استبدال جزءم المعاش .

— خسارة !

— لا خساره ولا حاجه ، لو طلّ استبدال المعاش كله كنت
استبدلته ، مش أحسن ما الحكومة تورث فيه ؟
فقالّت الزوجة في فزع :

— ما وعيت .

— ح توعى ، ودى فيها كلام ح اموت يوم ، وح تورث الحكومة
فيه .

— بعد الشر .

وشرد ببصره وقال :

— أنا مش فاهم الحكومه تورث ليه ، لهى أمى و ابويا ولا بنتى ولا
ابنى ولا انا مسئول عنها .

وتمدد فى السرير ، ونظر إلى حيث ترقد هالة ، ثم التفت إلى زوجه
التي تناولت حذاءه ؛ وراحت تضعه فى مكانه ، وقال لها :
— قولى لى يا زينب لو مت تعملى إيه ؟

فقالت له فى ضيق :

— أوه . والنبي تسبب السيره دى .

— وليه نهرب م اللى ح يحصل ؟ ما نفكر سوا فى اللى تعمليه لو مت .

— يمكن أموت قبلك .

— ونفكر فى اللى نعمله لو متى .

— ودى عايزه تفكير ؟ ح تتجوز واحده تانيه تذل الأولاد

وتمرطهم .

— تفتكرى كده ؟

— ما فيش كلام . يعنى انت أحسن من مين ؟

— طب لو مت قبلك تعملى إيه ؟

— أشوف شقه على قدى ، وادبر عيشتى أنا والأولاد على قد القرشين

اللى يطلعوا لى .

— يعنى من مصلحتك ومصلحة الأولاد إنى أموت قبلك .

— أوه . والنبي تفض السيره دى : أنا عارفه النهارده مالك ،

مسكت الحكاياه دى واستقلعت ليه ؟

وتركته وغادرت الغرفة ، وإذا بسوسن تقبل وفي يدها ورقة ،
ودفعت بها إلى أبيها وقالت :
— بابا عايزينك في المدرسه تحضر مجلس الآباء .

فقال وهو شارد :

— حاضر .

وأسرعت نبيلة إليه وقالت :
— اشمعنى ح تحضر مجلس الآباء في مدرسة سوسن ، وما حضرتش
المجلس في مدرستى ؟

وخف سامى إليه وقال :

— مجلس الآباء بتاعنا بكره ، ضرورى تحضره .

وصاح مراد :

— كل أصحابى أبهاتهم حضروا مجلس الآباء .

وأقبلت الأم على صياحهم ، وقالت لهم :

— هو ما حدش يعرف يستريح شويه في البيت ده ! بره .

وانسلوا من الغرفة ، وقال الأب :

— بس الواحد ح يروح هنا واللا هنا واللا هنا واللا هنا . ح يجيب

الوقت منين ؟! يعنى ما يجيناش بدل الكلام ده عضوية مجلس إدارة

شركه .. تحل أزمطنا ؟

— أنا عارفه عرسان اليومين دول إيه ؟ الواحد منهم يدفع المهر

ويسلت إيده ، لا نفقه ولا نشان ، فاكرا الهدايا الحلوه اللي كنت بتبعتها

لى فى المواسم ! عروسة المولد اللى قد كده ! والحلاوة الحمصية
والسمسميه ، والا السمك اللى كان يملا طشوت .. والنشان اللى
بعتولى .. الفستان القصب والجزمه القصب ، والشرابات الحرير
والصابون الممسك ، والشباشب اللى قلبك يحبها . تصدق إن الهدايا اللى
بعتها لى فرحتنى أكثر من كل الحاجات اللى جابوها لى ؟
— دى بقت موضه قديمه .

— موضه قديمه ! والله كانت تشرح القلب ، ده فقر اللى بيعملوه
اليومين دول .

— تعرفى أنا كل ما اشوف سامى ومراد وعاطف بتهدا نارى .
— ليه ؟

— مسيرهم ح يتجوزوا يوم ، وادفع لهم المهر ويس واسلت ليدى أنا
كان ، واسيب غيرى يكع ، واخذ بتارى .

وسمع ارتطام حذاء صغير بالباب ، فقالت الأم :

— عاطف جه ، كان فين غطسان من بدرى ؟

وأسرعت تفتح له الباب ، وبدأت هالة تبكى ، فنهض حسين وحملها
فى حنان ، وقال لها وهو يرقصها بين يديه :

— تعرفى لو عشت لغاية ما أجوزك ، ح اجهزك جهاز ما فيش واحده
اتجهزته ، مش ح يبقى ع الحجر غيرك .

وضمها إليه وقبلها قبله أنسته كل آلامه ومتاعبه ، أحس الكدر الذى
غيش صدره ينقشع ، والهموم التى كادت تنقض ظهره تتلاشى ، وإذا

يبصيص من الأمل يبدد ظلام نفسه ، ثم ينداح حتى يملأ جوانحه .
وفتحت الأم الباب ونظرت ثم ارتدت خطوة وصاحت :
— إيه القرف ده ؟

كان عاطف يرتدى قميصاً أبيض مخططاً بخطوط خمرء ، صار رمادياً من أثر التراب ، وقد التصقت خصلات شعره بجهته من أثر العرق المتصيب منه ، وكان بنظونه ممزقاً عند فخذيه ، أما حذاؤه فلا لون له ، وفي يده قطعة جبل وفي نهايتها كلب صغير ، أذناه طويلتان تخطان في الأرض وشعره متهدل ، أبيض اللون ، حول عينه اليسرى هالة سوداء .
وجذبت الجبل من يده ، ولكنه تشبث به ، فقالت له :

— سيب الكلب ، جفته منين ؟

— واحد صاحبي اداهولى .

وعوى الكلب ، فإذا بأحلام ونبيلة وسوسن وسامى ومراد ، يتسابقون إلى الباب ، أحلام فى قميص النوم ، ونبيلة ترتدى بنظلون البيجاما ، عارية الصدر ، حافية القدمين ، وسامى ليس عليه إلا بنظلونه الأبيض القصير ، ومراد بالفانيلا و « الكلسون » ، أما سوسن فقد راحت تهزل وفي قدميها شبشب كبير .

وخرج الأب من غرفته ينظر وهو يحمل هالة .

وقالت الأم وهى تجذب الجبل :

— ما تتعيش نفسك ، الكلب دا مش ح يبخش الشقه أبداً .

وقالت أحلام :

— يا جماله !

وأسرعت نبيلة إليه وحملته ، فصاحت فيها أمها :

— نزيله ع الأرض ، مش شايفاه وسخ ازاي ؟.

فقالت نبيلة :

— ح احميه .

وقالت سوسن :

— والنبي يا ماما تسييه ، دا لطيف خالص .

وصاح مراد :

— ح ننضفه ، ح نخليه فل .

فقال له أمه في غيط :

— ياخي روح نضف نفسك .

وسارت نبيلة به إلى الحمام ، وإخوتها خلفها يتصايحون ، فقالت لها

أمها :

— يعني عفيتي دلوقت ، لا تعبانه ولا مهمده ولا وراكي مذاكره ،

ما تتشطريش إلا في الحاجات الهايفه .

وأغلقت الأم الباب خلفها ، وسارت مهزومة حتى إذا بلغت زوجها

قالت له :

— هو البيت كان ناقص كلاب ! ما كفايه اللي فيه .

وسار الزوجان إلى الحمام ووقفا بعيدا ينظران ، وجدا أحلام تدلك

جسم الكلب بالصابون بينما راحت نبيلة تصب لها الماء ، بينما راح عاطف

يصيح :

— ده كلبى ، أنا اللي أحميه .

وطفق بمد يده ليأخذ من نبيلة الكوز ، وسامى يبعده ، ومراد يقول

له :

— استنى لما يستخمه ابقى خده .

وقالت سوسن وهى تلوح بالمشط فى يدها :

— أنا اللي ح اسرحه .

وقالت أحلام :

— ناولنى فوطه يا سامى .

قالت الأم فى غضب :

— مش ناقصنا إلا الكلب نجيب له فوط راخر ، وهو انتو مش

دارين ، ما بتحسوش . والله اللي ح يحط الفوطه على جسمه ح يعرف

شغله .

وشقت نبيلة طريقها إلى غرفتها وعادت بجاكتة بيجامتها ، ولفت

الكلب فيها ، ثم عادت إلى غرفتها وإخوتها خلفها .

وسارت الأم إلى غرفتها مطرقة وزوجها إلى جوارها ، وقالت له :

— هو احنا قادرين نأكلهم لما ح نأكل الكلب ؟ قال على رأى المثل .

فقال زوجها وهو يتسم :

— مش لاقين العيش ياكلوه ، يحببوا كلب يربوه .

(أم العروسة)

الفصل الحادى عشر

اصطف الأولاد فى حلقة واسعة ، وقد ركع سامى ومراد وأحلام
ونبيلة وسوسن على ركبهم بينا ظل عاطف واقفا ، ووضعوا الكلب فى
مركز الدائرة ، وقالت نبيلة :

— الى يروح له الكلب يبقى ح ينجح السنه دى .

وراح كل منهم يناديه ، ويغريه بالاتجاه إليه ، فارتفعت فرقة
الأصابع ، وصفر كل منهم بقمه بطريقته الخاصة .
وترددت النداءات :

— بوى .. بوى .

ووقف الكلب حائرا ، يدير رأسه يمينا وشمالا ، وقالت نبيلة :

— بلاش نقول له « بوى » نسميه اسم تانى .

فقال أحلام وقد وضعت سبابتها على خدها :

— نسميه إيه ؟

وشردت ببصرها تفكر ، وهى تغض شفتها السفلى بأسنانها ، وقال

سامى :

— نسميه جلجل .

والتفت إلى أحلام ، وضحك ضحكة ساخرة ، فنهرته نبيلة قائلة :

— بلاش قلة أدب .

وتوردت وجنتا أحلام ، والتفتت إلى سامى غاضبة ، وقالت في غيظ :

— ح نتخافف ؟

وقال عاطف :

— نسميه « عاطف » .

وضحك الأولاد ، وقالت سوسن وهي تضحك ، لتعلن الجميع أنها فهمت سبب ضحكهم :

— يعنى عاطف كلب .. يعنى عاطف كلب .. هى هى .. هى هى .

وقالت نبيلة وهي تفرق بأصابعها :

— نسميه سوزى .

فارتفعت الأصوات تنادى :

— سوزى . سوزى .

واختلطت الأصوات بفرقة الأصابع ، وصفير الأفواه ، والكلب يبصص بذنبه ويتلفت ، ثم يتقدم إلى أحلام .

وحملت أحلام فى فرح وضمته إلى صدرها ، وصاح الأولاد جميعا وهم يضحكون :

— أحلام ح تنجح السنه دى .

وأسرعت إليها سوسن تضمها فى فرح لتعلن سرورها بنجاحها ،

وقالت أحلام وقد توجت شفتيها بسمه عذبة :

— ح انجح فى آنى امتحان ؟

ورنت إليها نبيلة رنوة ذات مغزى ، وقالت لها :

— هو ضرورى تنجحى فى الامتحان ، أهو ح تنجحى والسلام .

وعلا بكاء هالة على ضجيج الأولاد ، فنادت الأم :

— نبيلة ، تعالى خدى أختك لعبوها ، واللأ يعنى مش ح تحصل

الكلب !

وقالت نبيلة :

— مراد ، هات هاله والنبي .

فأسرعت سوسن تهرول إلى الردهة وتقول :

— أنا اللى ح اجيبها .

وانطلقت إلى حيث كانت أمها جالسة على الأريكة ، وحملت هالة ،

ثم عادت بها ، فقال سامى :

— حظوها مع الكلب لما نشوف ح تعمل إيه ؟

فقال مراد معترضا :

— لأ ، ح اقول لماما .

ولم يأبهوا لاعتراضه ، ووضعوا هالة والكلب فى وسط الدائرة ،

وأشربوا بأعناقهم ينظرون .

وتمسح الكلب بها ، ومدت يدها تجذبه من شعره ، فانطلقت

صيححات الرضا ، وراحوا يزحفون على ركبهم يضيّقون الحلقة ، حتى

ينعموا بمراقبة الغزل الدائر بين هالة وسوزى .

وخرج الأب من الحمام ، يلف حول عنقه فوطة مبتلة وقرع أذنيه
صياح الأولاد ، فسأل زوجته :

— إيه الزيته دى ؟

— زيتة أولادك الى بتدلعهم ، ييلعبوا الكلب ، يا راجل كش فيهم
خليهم يوطوا حسهم .

— وانتى ما كشتيش فيهم ليه ؟

— طول عمرى بكش فيهم لوحدى لما بقيت العدوه ، روح انت

ريهم مره .

وانطلق فى عزم إلى حيث كانوا يلعبون ، وزوجته تنظر إليه ، وقد
أصاحت السمع ، ووضعت القميص الذى كانت ترتقه جانبا .

ووقف عند باب الغرفة ينظر ، فرأى هالة تجذب الكلب من أذنه
وتحاول أن تضعها فى فمها ، فاحتلت وجهه بسمة عريضة ، ودغدغت
أذنيه ضحكات أبنائه ، فاستشعر مشاعر رقيقة تنبثق فى أعماقه ، وتقدم
مسرورا يشاركهم حبورهم .

وركع على ركبتيه ، وأبعد « الفوطة » عن عنقه ، وراح يفرقع
بأصابع يديه فى توافق عجيب كأنما يدق لحنا راقصا .

وبدأت سوسن تتأيل على الأنغام ، وتشجع مراد وراح يصفق لها على
الوحدة ، ولم ينهره أبوه ، فصفت نبيلة وأحلام وسامى معه ، وأسفر
تمايل سوسن عن وجهه الحقيقى ، فإذا بها ترقص وتميل برأسها إلى

الخلف ، حتى مس شعرها كعبها ، وبطنها في حركة دائبة .
وجلجلت ضحكات ناعمة ، وتعالّت الأصوات ، وقرع ذلك أذن
الأم فقطبت جبينها وجذبت القميص الذى نحتته في عصبية ، ثم استأنفت
رتقه وتثيت أزراره .

وتتابع رنين جرس الباب فانقطع التصفيق وفرقة الأصابع وتوقف
الرقص ، ومد الأب يده وأخذ الفوطة ووضعها على كتفه وهم
بالانصراف ، وأسرع مراد إلى الباب يفتحه .
وقال مراد :

— أهلا جلال .

ومس صوت جلال أذن الأب وهو يقول « أهلا بيك » فوسع في
خطوه ، حتى دنا من زوجه وهمس :
— جلال جه .

فقالت وهي تنهض :

— يا ريته كان جه من بدرى وشافك وانت بترقص العيال .
ووقفت أحلام تصلح هندامها ، وراحت نبيلة تمرر يدها على شعرها
وفى عينيها قلق ، وحمل عاطف كلبه وجرى إلى غرفة الاستقبال حيث
دخل جلال .

وقالت أحلام لسامى :

— احمل هاله .

— وانا مالى .

وغادر الغرفة ليرتدى ثيابه ، والتفتت أحلام إلى سوسن وقالت :

— سوسن شاطره . احملى أختك .

فقالته وهى تهز كتفها :

— وانا مالى .

— احمليها وح اديكى قرش .

— هاتى قبله .

— روحى خديه من شنطتى .

ولم تنتظر حتى تحمل سوسن هالة ، بل انسابت مرحة إلى غرفة
الاستقبال وفى أثرها نبيلة .

كان جلال يداعب الكلب ، وعاطف ينظر إليه مسرورا ، بينما راح
مراد يفتح الشبايك ، واقترب عاطف من جلال وقال له :

— عجبك الكلب ؟

فقال جلال وهو يعبث فى رأس الكلب :

— لطيف خالص .

فقال عاطف وقد لمعت عيناه خبيثا :

— طب ادى له قرش يشتري بيه بسكويت بقى .

وسمعت أحلام ونبيلة ما قاله عاطف ، فوقفت أحلام وأطرقت
خجلا ، ووضعت يدها على فمها ، ودفعته نبيلة فى ظهرها تحثها على
التقدم ، وهى تبتسم ، وصاح مراد فى أخيه :

— امش اطلع بره ، بلاش قلة أدب .

وقال له جلال :

— ما تسبيبه ، ذا صاحبي .

ووقف جلال ومد يده في جيب بنطلونه ليخرج القرش ، وإذا به يلمح أحلام مقبلة ، فيمد يده مصافحا ؛ ثم يصافح نبيلة ويشغل بحديثهما عن عاطف .

وجلس جلال والكلب في حجره ، وأصابعه تتخلل شعره في حنان ، وقد تعلقت عيناه بوجه أحلام .

ورمق عاطف أحلام ونبيلة في غيظ ، عطل دخولهما حصوله على القرش ، ورمى جلال بنظرة شرراء ، ثم هجم عليه ينتزع الكلب منه ويقول :

— طب هات الكلب بقي .

فقال جلال وهو يقف ويمد يده في جيبه :

— إنت زعلت ؟ لك حق . خذ القرش أهه .

فقال أحلام في عتاب :

— ما تعلموش على كده .

فقال مراد وهو يطوح يده في يأس :

— هو لسه ح يتعلم ، ما خد على كده وخلاص .

ودخلت زينب وصافحت جلال وقالت لمراد :

— افتح الشباك اللي ورا جلال ، النهارده حر .

فقال جلال منتهزا هذه الفرصة :

— بلاش تعب ، احنا ح نخرج نتمشى ع النيل شويه ، يا للا

يا أحلام .

واتسعت عينا الأم ، وثارت دماؤها ، ولكنها كبحت جماح عواطفها
وقالت في صوت مضطرب جاهدت أن يكون طبيعيا

— طب استنى لما تشرب حاجه .

— لا معلنش .

— استنى حسين جاى .

وقامت نبيلة وتظاهرت بأنها تصلح ضلفة الشباك ، ورمت
ببصرها . كانت ترجو أن ترى السيارة واقفة ، وأن تلمح شفيقا فيها ،
ولكنها رأت الطريق خاليا ، فانقبض صدرها ، وعادت إلى مقعدها
مطرقة .

وانصرفت الأم ، وانطلقت إلى زوجها نائرة ، وقالت له :

— سمعت ؟ عايز ياخذها ويخرج .

وقال الأب فى بساطة وهو يرتدى جاكته :

— وفيها إيه ؟

— وفيها إيه ازاي ؟ يخرجوا لوحدهم ؟

— مش قارى الفتحه ودفع المهر ؟

— والله ما يخرجوا لوحدهم ولو اتكتب الكتاب ، ما يخرجوا إلا بعد

الدخله .

— وح تعملى إيه دلوقت ؟

— ح اتصرف .

وعادت إلى غرفة الاستقبال ، ولكنها لم تدخل ، بل وقفت بعيدا بحيث يراها مراد ، ولا يراها جلال ، وجعلت تشير بيدها لمراد أن تعال .
وقال مراد بصوت عال دون أن يتحرك :

— إيه . فى إيه ؟

ووضعت أصبعها على شفتيها تأمره أن يلزم الصمت ، ثم عاودت الإشارة له بيدها ، فذهب إليها وهو ضيق بها ، وما إن وصل إليها حتى همست له :

— روح البس هدومك عشان تخرج مع أحلام وجلال : قوام .
وهرول إلى غرفته ، وفتح درج « الشوفنيير » وبحث عن قميص نظيف له ، فلم يجد فأخذ قميصا من قمصان سامى ، ولحج سامى وهو يسرح شعره ، فقال له :

— سيب القميص ده .

فقال مراد .

— ما عنديش قمصان . كل قمصانى اتوسخت .
وأسرعت الأم إليهما وقالت لسامى الذى انتزع القميص من يد أخيه :

— خليه يلبسه يا سامى .

— لا يا ستى . عشان يجيولى نصين ؟

— إن قطعه أجيب لك غيره .

— ما ليش دعوه .

— طب اديهوله واشترى لك بداله .

وقال سامى وهو يلقي بالقميص فى وجه مراد :

— إذا كان كده معلش .

وراح مراد يرتدى ثيابه فى عجلة ، وأمه تعاونه ، ووقعت عينها على
حذاءه ، فقالت له :

— جزمتك وسخه قوى .. فين الورنيش ؟

فقال سامى وهو يغادر الغرفة :

— لو كانوا بياكلوه ما كانش يلحق يخلص بالشكل ده .

وراحت الأم تلمع حذاءه بخرقة ، حتى إذا اطمأنت إلى مظهره ،
رنت إليه لحظة وقالت :

— ياما نفسى تفضل نضيف كده على طول .

وسارا إلى غرفة الاستقبال ، ودخلا . ولمح مراد كأسا على الصينية
فيها شراب وردى بين الكؤوس الفارغة ، فخطر له أن يتناولها ولكنه وقف
مترددا ، وأحست أحلام به ، فقالت له :

— اشرب الشربات بتاعك .

ورفع الكأس إلى شفثيه ، فقال له سامى :

— حاسب توسخ القميص .

وابتسم الجميع إلا نبيلة فقد ظلت ساهمة ، ولاحظ جلال صمتها
فقال لها :

— مالك النهارده ؟ ساكتة ليه ؟

وتوردت وجنتها ، وأحست دماء حارة تتدفق في عروقها ، وقالت
وهي تمرر يدها على جبينها :

— مش عارفه مالى . عندى صدا ع شويه .

وقال لها أبوها :

— خدى لك اسبرنتين وكباية شاي وخشى نامى .

ونهمضت لتفر من الغرفة ، خيل إليها أن العيون كلها صوبت إليها ،
وأن أمرها كاد ينكشف .

وقام جلال وقال لأحلام :

— يللا .

ونظرت الأم إلى مراد ، فنهض وسار جلال وأحلام إلى جواره
وانطلق خلفهما مراد . وقبل أن يصل إلى الباب كان مراد يسير بينهما .

وأحس به جلال ، فلم يشعر بارتياح ، وكبت عواطفه وابتسم وقال

له :

— جاي معانا ؟

فقال مراد فى ثقة :

— آه .

ولم تنهره أمه ، ولم يزجره أبوه ، فقال له جلال :

— تشرف .

وانطلقوا وقد تكدر صفو جلال ، وإن راح يربت على ظهر مراد ،

ويعمر يده على شعره . وبلغوا الجزيرة ، وساروا فى الطريق المنساب على

ضفة النيل ، وقد أضيئت المصابيح الخافتة التي عجزت عن قهر جحافل الظلام ، وكان مراد يسير بينهما ، ويشاركهما الحديث .

وأراد جلال أن يسير مع أحلام جنباً لجنب ، فوسع من خطوه وانتقل إلى جوارها ، وإذا بمراد يندس بينهما ويفصلهما . وضاق جلال به ذرعاً ، فجذبه من يده ، ونقله إلى يمينه فصارت أحلام عن يساره لا يفصل بينهما فاصل .

والتصقت كتفه بكتفها ، ومال رأسهما حتى كادا أن يلتصقا ، والتقت العيون وهمس جلال :

— أحبك .

فقال مراد .

— بتقولوا إليه ؟

فقال جلال في اضطراب :

— كنت باقول الجو لطيف النهارده .

فقال مراد :

— أبدا . الدنيا حر موت ، أنا عارف طايقين تتلذقوا في بعض كده

ازاي ؟

وابتعد جلال عن أحلام ، وقد لمعت العيون بالبسمة التي كتبتها

الشفاه !

وانطلقوا ، وما إن ابتعدوا خطوات حتى التصق الكتفان ، ومال الرأسان ، وتحديث العيون ، وتحركت المشاعر في الصدور ، وهمس

جلال مغازلا :

— قمر .

ومست الكلمة أذن مراد ، فقلب وجهه في السماء وقال :

— فين ده القمر ؟ مش شايف حاجه .

فقال جلال ، وهو يئد البسمة التي ولدت على شفتيه :

— سألتنى أول الشهر العربى إمتى ؟ قلت لها ، لما يطلع القمر .

فنظر مراد إليه فى دهش وقال :

— سألتك إمتى . أنا ما سمعتش حاجه . .

وأشاحت أحلام بوجهها حتى لا يرى أخوها البسمة العريضة التي

ارتسمت على وجهها ، وقال جلال ليغير مجرى الحديث ، وهو يشير إلى
مركب يسير فى النيل .

— شايف المركب ماشى بالليل ازاي ؟

فقال مراد :

— وإيه يعنى ، ما المركب يمشى بالليل وبالنهار .

فقال جلال :

— صحيح .

وضربه على ظهره بقوة وهو يقول له :

— شاطر . ما كنتش فاهم إنك كده .

ووصلوا إلى جسر التحرير ، كان يأتلق بالنور والسيارات تنساب

فوقه فى صفوف ، والناس على جانبيه يتدافعون بالمناكب ، فاندسوا بين

الجموع ، وقد أتاح الزحام فرصة التصاق جلال بأحلام رغم أنف مراد .

ونادى صوت نسوى رقيق :

— جلال .. جلال ..

والنفت جلال خلفه ، ثم خفف من خطوه ، ولاحظت أحلام تمهله ، فسارت في طريقها ، ومدت يدها وأمسكت مرادا من يده . ونظرت خلفها فألفت جلالا يحادث شابة جذابة ويبتسم ، فارتد وجهها ، وتحركت عقارب غيرتها ، ولم تطق صبرا ، فجذبت مراد من يده ، ووسعت خطاها وراحت تشق طريقها بين الكتل البشرية المتدفقة .

واشرأب جلال بعنقه فلم يجد لأحلام أثرا ، فجعل يتلفت ثم انطلق يجد في أثرها ، ولكن أفواج الموج البشرى المتدفق على الجسر كان يعوق تقدمه .

ووصل أخيرا إلى محطة السيارات ، ولمح أحلاما ومرادا في سيارة بدأت تتحرك فهتف :

— مراد .. مراد ..

وأشاحت أحلام بوجهها عنه في غضب ، فضرب كفه بقبضة يده في حنق ، وعقد العزم على أن يتركها الليلة لغيرتها تؤرقها وتنهش صدرها . وعادت أحلام إلى الدار ، واتجهت إلى غرفتها حائقة ، وفطنت أمها إلى غضبها ، فخفت إليها وقالت لها :

- رجعتی لوحدك ليه ؟ أمال فين جلال ؟
- سابني ووقف يكلم واحده ، فته وجيت .
- وقف يكلم واحده ، إزاي ده ؟
- أهو ده اللي حصل .
- ماترعليش نفسك ، بس لما بيعجى .
- وبدأت أحلام تخلع ثيابها وتلقيها في غضب ، وغادرت أمها الغرفة وذهبت إلى حيث كان زوجها وقالت له :
- شفت جلال عمل إيه !
- ونحى الرجل الصحيفة التي كان يطالعها وقال :
- عمل إيه ؟
- ساب أحلام ووقف يكلم واحده .
- وعملت إيه أحلام ؟
- فاته وجت .
- غلطانه .
- غلطانه ازاي ؟ أمال كنت عايزها تعمل إيه ؟!
- تستنى لما تشوف مين ده ، مش يمكن قريته ، واحده من معارفهم ؟
- بس لما بيعجى .
- حتعملى له أيه ؟
- ح افرجه .

— مالكيش دعوه .. سيبيهم هم يصفوا مشاكلهم من غير ما حد
يتحشر بينهم ، يكره ح بيان لك إنها حكاية هايفه .
— هايفه ! بكره ح تشوف .
وتحركت لتغادر الغرفة ، ثم وقفت قليلا ساهمة ، خطرت لها فكرة ،
فأغذت السير إلى حيث علق زوجها ثيابه ، وراحت تبحث في جيوبه ،
وتقلب في أوراقه وهي تغمغم :
— مين عارف . يمكن . ! الرجاله كلهم خاينين وعينهم فارغه ،
وماهمش أمان .

الفصل الثانى عشر

أطفئت الأنوار ، وساد الظلام ، ونام حسين وزوجته وأولاده ، وبقيت أحلام مسهدة ، لا يمشى الوسن إلى جفنيها ، ولا يغادر القلق صدرها ، ولا يهدأ لها بال ، ولا يستقر لها قرار . كانت تتقلب فى فراشها تقلبها على جمر ، ما أن يمس جنبها الأيمن الفراش حتى تدور وتستلقى على ظهرها ، ثم تكمل دورتها لتنام على جانبها الأيسر ، وسرعان ما تعود سيرتها الأولى .

وكانت تحكم الغطاء عليها ، وتغطى وجهها ، وما تلبث أن تدفعه بيدها ، ثم ترفسه بقدمها ، ثم تعود وتجذبه بيدها وتسدله على جسمها القلق المحموم .

وكانت نبيلة ترقبها فى صمت ، وخطر لها أكثر من مرة أن تحادثها لتتشلها من ذلك القلق المضنى ، ولكنها كانت تترث لعلها تهجع وتروح فى سبات ، وظلت أحلام فى عذاب ، فلم تطق صبرا ، وقالت وقد رفعت رأسها عن الوسادة ورمت ببصرها إليها :

— معذبه نفسك كده ليه ، الموضوع بسيط خالص .

ودفنت أحلام وجهها فى الوسادة ، وشهقت ، فمدت نبيلة يدها وأضاعت الأباجورة ، ثم اتجهت إلى سرير أحلام وجلست على حافته ،

وقالت :

— قولى لى : بتفكرى فى إيه ؟.

فقالت أحلام وهى تبكى :

— يسينى ازاي وانا ماشيه معاه ويكلم واحده تانيه ؟

— وفيها إيه يعنى ؟ ما استنتيش ليه لما يرجع ويشرح لك كل حاجة :

غرتى قوام ! خلتي لبثوع زمان إيه !.

ومالت نحوها ، وقالت وهى تمرر يدها على ظهرها :

— عايزه الحق . إنتى غلطانه .

وأجهشت أحلام بالبكاء ، فقالت لها نبيلة :

— بتعيطى ليه دلوقت ؟

— عشان عارفه ان أنا غلطانه . .

— خلاص ، مدام معترفه انك غلطانه ، كل حاجة ح تبقى سهل ،

لما ح بيعجى بكره ح تتصلح كل حاجه .

والتفتت أحلام إليها وقالت فى لهفة :

— تفتكرى انه ح بيعجى بكره ؟

فقالت لها نبيلة وهى تهز رأسها :

— بقى عشان كده بتعيطى ! اطمنى . ح بيعجى . آمال ح يروح

فين ؟

وجلست أحلام فى فراشها وقالت :

— إن جه ح اعتذر له ، ح اقله انى غلطانه ، ومش ح اعمل كده

تأني .

قالت لها نبيلة :

— إياكى تعتذرى له ، مثلى عليه . اعملى انك زعلانه لغاية ما يعتذر لك عشان ما تبقيش انت الى غلطانه .

وابتسمت أحلام على الرغم من الدموع المترققة فى مآقيها وقالت
وهى تدفع نبيلة فى صدرها فى حنان :

— اتعلمتى الحاجات دى فىن ؟

فقالت نبيلة فى غرور :

— الحاجات دى ما تتعلمش . نتولد بيها . خليكى ثقيله .

ونامت أحلام وسحبت نبيلة عليها الغطاء ، ثم أطفأت نور الأباجورة
واندست فى فراشها ، واستغرقت فى النوم .

وأصبح الصباح ، ودبت الحياة فى الشقة ، وراح الأولاد يهرولون
ويصيحون قبل أن يغادروا الدار إلى المدرسة ، وحملت نبيلة حقيبتها
وأسندتها على عجزها ، وقبل أن تنصرف ألفت أحلام تملأ القلقل وهى
ساهرة ، فدنّت منها وقالت :

— والله ح ييجى . بس مش ح ييجى الصبح . ح ييجى لما يخلص
شغله .

وغادرت المطبخ وهى تصيح :

— ماما .. ح اتأخر العصر ، عندنا بروفه لحفلة التمثيل .

وقالت الأم وهى تقوم بلم ما بعثره الأولاد قبل خروجهم من ملابس

وأوان وفتات خبز وقصاصات ورق :

— والله ما انا عارفه التمثيل ده لزمته إيه !

ولم تحفل نبيلة باعتراضها ، وانطلقت كالطيف على أطراف أصابع قدميها ، ودوى في أذنيها صوت بوق السيارة ، فقالت وهى تجرى :

— أنا نازله . العرييه جت .

وصفق الباب خلفها .

وخلت الشقة من الأب والأولاد ، ولم يبق بها إلا الأم وأحلام وهالة ، أما عاطف فقد كان فى طوافه اليومي على شقق الجيران .

وانتهت أحلام من عملها اليومي الرتيب ، وبدأت فى كى ثوب من ثيابها ، واقتربت أمها منها وهى تحمل هالة وقالت لها :

— لما بيعجى جلال أنا اللي ح اخش له .

فقالت أحلام ، وقد رفعت المكواة عن الثوب :

— ليه ؟

— مش ح تعرفى تكلميه ، أنا اللي ح اعرف أكلمه .

وخشيت أحلام أن تجرح أمها شعوره ، أو تسىء إليه من حيث لا

تدرى ، وتسبب لها المتاعب فقالت لها :

— أرجوكى يا ماما تسيبي الموضوع ده ليه .

فقالت لها أمها فى تهديد :

— بقى اسمعى . لو قرش ملحتك مره ، ح يقرشها على طول . ح

تبقى هفيه .

— ما تخافيش .

وراح الوقت يمر ويثدا ويثدا ، وعاد الأولاد من مدارسهم ، وجاء الزوج . ومالت الشمس للمغيب ، ولم يأت الحبيب ، فطفقت أحلام تغدو وتروح فى الشقة فى قلق شديد ، كانت كلما سمعت صوت وقوف سيارة تهرع إلى النافذة تنظر وهى تأمل أن يكون جلال جاء فى رفقة شفيق ، ولكن سرعان ما يتبدد الأمل ، ويستبد بها يأس مرير .

ودق جرس الباب الخارجى ، فحفق قلبها فى شدة ، ولفها اضطراب ، وراحت دماؤها تتدفق حارة فى عروقها ، وخفت إلى الباب ووقفت لحظة تصلح هندامها وشعرها ، ثم مدت يدها تفتح الباب فى تودة ، كانت أشبه بمقامر يفحص ورقه فى حرص ، خشية أن يفجع فيه . ولحت جلالات ، فاشتد وجيب قلبها ، وربما اضطرابها واحمرت وجنتاها ، ولكنها فتحت الباب على مصراعه وقالت فى فرح :

— أهلا وسهلا .. اتفضل .

وذهب إلى غرفة الاستقبال ، وقال جلال قبل أن يجلس :

— تقدرى تقولى لى مشيتى امبارح ليه ؟

فقالت فى اضطراب :

— يعنى ما انتش عارف ؟

— لأ مش عارف .

— لما لقيتك سبتنى ومشيت اضطريت أمشى .

— سبتك ومشيت ؟!

- بصيت ما لقيتكش جنبى . ما قلتيش رايح فين ..
— هو انتى استتيني علشان أكلمك .
— كنت اقف فين والناس عماله تزق فى بعضها ؟
— طب ولما ندهت عليكو وانتو فى الأتوبيس وديتى وشك الناحيه
التانيه ليه ؟ أنا مش فاهم إيه اللى زعلك .
— عايزنى أفرح لما تسيبنى وتكلم واحده تانيه ؟
— ما تقوليش سبتك ، واحنا ماشيين واحده كانت زميلتى فى الجامعه
شافتنا ، ندهت علىّ يا دوب رحت لها ، والتفت علشان أقدمها لك ،
بصيت مالتكيش .
ودنا منها وقال لها :
— مشيتى ليه ؟ غرتى !
فقلت وهى تشيح بوجهها عنه فى دلال :
— اللى بيعجب لازم يغير .
ثم عادت ونظرت إليه فى إغراء ، وتعطلت لغة الكلام وتخطبت
العيون ، فلف ذراعه حولها وقبلها قبله طويلة حارة .
وأقبلت سوسن ورأتها وهما يتعانقان ، فصاحت وهى تهتم بالعدو :
— ماما .. ماما .. الحقى .
وانفصلا فى فرع ، وفى مثل لمح البصر جرى جلال خلفها حتى لحق
بها ، فأمسكها ووضع يده فى جيبيه وأخرج قطعة نقود ، دسها فى راحتها
وقال لها :

— خدى اشترى حاجه .

وفتح الباب ودفعها منه ، وضربها على مؤخرتها ، ثم أغلق الباب وعاد إلى غرفة الاستقبال وهو يزفر فى راحة .

وجاءت الأم تسعى ، وخلفها زوجها ، ودخلا غرفة الاستقبال فألفيا أحلاما وجلالا يتناجيان فى ود ، فصافحا جلالا وجلسا ، وراح الزوج ينظر إلى زوجه وعلى شفثيه بسمة ، وفى عينيه كلام ، لو ترجم لكان : « مش قلت لك . ماتت حشرش بينهم ، سبيهم يصفوا مشاكلهم لوحدهم . شفثى ! جالك كلامى ! » .

وراح جرس الباب یرن رنینا متصلا ، فقالت الأم :

— نفسى سوسن ما تجطش إيدها ع الجرس على طول ، هى فاكهه البوابین واقفین ورا الباب ؟

وسمع صوت فتح الباب ، واندفاع سوسن وهرجها ، وما أن وصلت إلى الغرفة حتى صاحت :

— ماما .. ماما الحقى .

واتسعت عينا جلال رعبا، وأطرقت أحلام خجلا، ثم قامت لتغادر الغرفة قبل أن تشى سوسن بها ، واستشعرت عرقا باردا يتفصد من وجهها ، وخيل إليها أن لونها قد غاض ، وقالت الأم :

— فيه إيه ؟

فقالت سوسن :

— عاطف شحت برتقاله من الجيران .



مش قلت لك : ما تكمش ريش ينيهم ..

وارتمت أحلام في مقعدها ، وزفر جلال في راحة ، وهو يوسع خناق الكرافاتة ، وأقبل عاطف وهو يحمل البرتقالة ، وقال في صوت ثابت ، لا أثر للخوف عليه :

— أنا ما شحتش .

وقال له أبوه :

— أمال مين ادهلك ؟

— هم مادوها ليش كده .

— أمال ادوها لك ليه ؟

— عشان جبت لهم سجائر .

فابتسم جلال وقال :

— مايقاش شحتها ، خدها أجرة المشوار .

وجلست سوسن ، وراحت تنقل بصرها بين جلال وأحلام ، ثم تضحك وتخفي وجهها في راحتها ، وخشيت أحلام أن تسألها أمها عن سبب ضحكها . فتبوح بالسر الذي تشتهي أن يكشف ستره ، فأشارت إليها بيدها أن تأتي ، فذهبت إليها ، فأسرت أحلام في أذنها أن في درج ملابسها قطعة شيكولاتة عليها أن تأخذها على ألا تعود حتى ينصرف جلال .

ودوى صوت كلاكس سيارة ، فقال جلال :

— ده شفيق إيه اللى جابه ؟

فقال حسين وهو ينهض :

— خليه يتفضل .

ولم يتحرك جلال ، وأسرع حسين إلى النافذة المطلة على الطريق .
وأطل منها وقال :

— اتفضل .

وقال شفيق وهو في السيارة :

— جلال موجود ؟

— أيوه . اتفضل .

وصعد شفيق ، وقال لجلال وهو يصافح الموجودين :

— رحت لك البيت مالمقتكش ، سألتهم رحت على فين ، قالوا ما

يعرفوش ، قلت لروحى ضرورى ح ييجى على هنا . ح يروح فين ؟
الرجل تدب مطرح ما تحب .

وجلس شفيق وضحك حسين وقال :

— إنت غاوى أمثال انت راخر ؟

فقال شفيق :

— ده المثل الوحيد اللى اعرفه .

وراح شفيق يقلب عينيه في المكان ، ويشرب بعنقه ويمد بصره إلى
الردهة ، كان يبحث عن نبيلة ، وهم أكثر من مرة أن يسأل عنها ، ولكنه
كان يكبح جماح نفسه .

ولاحت نبيلة في الطريق مقبلة ، وقد وضعت حقيبة كتبها على
عجزها ، ولحت سيارة شفيق من بعيد ، فجعلت تنفرس فيها ، حتى إذا

ما تيقنت منها وسعت من خطوها ، ولو طأوت نفسها لراحت تعدو في الطريق .

وبلغت الدار ، فألقت على السيارة نظرة ، ثم دلفت إلى مدخل السلم ، وأخذت تصعد في الدرج قفزا ، ووجدت باب الشقة مفتوحا فانسابت منه إلى غرفة الاستقبال .

وتريثت قليلا تلتقط أنفاسها ، وأخرجت من حقيبتها مشطا وراحت تسرح به شعرها ، ثم تقدمت وقالت :

— السلام عليكم .

فقال جلال وشفيق :

— وعليكم السلام .

وتقدمت تصافحهما ، صافحت جلال في عجل ، وبقيت يدها في يد شفيق برهة ، وقالت الأم :

— جيتي بإيه ، يعنى ما سمعناش صوت عربية المدرسة ؟

— جيت في الأتوبيس ، مش قلت لك الصبح عندنا بروفه الحفلة

التمثيل ؟

— لو قلتى انك ح تيجى في الأتوبيس كنا بعتنا لك سامى .

— وفيها إيه يا ماما لما آجى لوحدى في الأتوبيس ؟

— يا بنتى ما بقتيش صغيره .

ووجد شفيق الفرصة سانحة ليشارك في الحديث ، فقال :

— أمال لما ح تروح الجامعه ح تروح في إيه ؟

فقالَت الأم في استكار :

— الجامعه ! كلها السنه دى وتقعَد في البيت .

فقال شفيق في ارتياح :

— أحسن .

فقالَت نبيلة :

— أنا لازم اروح الجامعه ، وابقى دكتوراه . ما تتكلم يا بابا .

— ناخذ رأى الموجودين . إيه رأيك يا جلال ؟

فقال جلال وهو ينظر إلى أحلام :

— أنا رأيى قلتَه عملى .

وابتسمت أحلام ، وسرت الأم ، كانت تحسب أن الأمر لا يخرج عن

معركة بينها وبين ابنتها ، ينبغى أن تفوز فيها تحفظ كرامتها .

وقال الأب :

— وانت يا شفيق رأيك إيه ؟

— أفضل في البيت واحده عنها حلوه ، اتعلمت كفايه ، عن دكتوراه

عنها مضعضه ونضاره تخن كده .

وبالغ في سمك النظارة عندما أشار بأصبعيه ، حتى أن نبيلة

ابتسمت ، على الرغم من أن الرد لم يكن في صفها .

وقالت :

— ضرورى كل دكتوراه تكون لابسه نضاره تخن كده !

وأقبل سامى وهو يحمل الكلب على ذراعه ، ووقف بعيدا يصغى إلى

الحديث الدائر ، وقال شفيق :

— إن ما كانتش نضارتها تخن كده بيكون وشها كرمش ، شوفى
بتقعد كام سنه فى الكليه .

وقال جلال :

— من رأى يعملوا كشف هيئه على البنات الى تروح الجامعه ، وما
يسمحوش إلا بدخول الوحشين بس ! .

فقال سامى لنبيلة :

— خلاص . ضمنتى إنك تخشى الجامعه .

والتفتت نبيلة إليه فى غضب وقالت :

— إيش حشر العيال فى الكلام ده ؟

فقالت الأم فى زجر :

— وبعدين معاكم .. لازم تتناقروا . روحى يا نبيلة غيرى هدومك

وتعالى .

وغادرت نبيلة الغرفة وهى تنظر إلى سامى شذرا ، وانطلقت إلى
غرفتها ، وراحت تخلع ثيابها ، وترتدى ثوبا أخاذا ، وقبل أن تكتمل
زيتها تذكرت شيئا ، فأسرعت إلى غرفة الاستقبال وشعرها منفوش ،
وقالت : .

— بابا ، حفلة التمثيل بعد بكره ، ضرورى تحضرها .

فقال الأب :

— يا ريت ، مش فاضى ورايا شغل .

فقال نبيلة في عتاب :

— هو كل سنه ما يحلاش الشغل إلا يوم حفلة التمثيل ؟
— عندي لجنة .

فالتفتت إلى أمها وقالت : وانت يا ماما وراكي إيه ؟
— ولا حاجه .

فقال نبيلة في فرح : خلاص . ح تيجي أنت وأحلام وجلال .
ثم التفتت إلى شفيق وقالت :
— وانت .

فقال شفيق :

— حاضر .

— الحفله ح تبتدى الساعة اربعة .

وقال شفيق وهو يلتفت إلى الأم :

— أفوت عليكو أنا وجلال الساعة تلاته ونص .
فقال الأم :

— لأ تيجو تتغدوا معانا وننزل سوا .

فقال جلال :

— معلش . اعفونا من حكاية الغدا دي .

فقال شفيق :

— لأ . ح نيجي نتغدى بس بشرط .

فقال الأم :

— إيه هو ؟

فقال شفيق :

— انكم تيجوا كلکم معايا العزبه يوم الجمعة ، نقضى اليوم كله
هناك .

فقال الأب فى استنكار :

— نیجى کلنا ؟؟ إزای ؟ .

— المسافه قریه ، ح افوت علیکم الساعه سبعة الصبح وآخذکم فى
العریه .

فقال الأب فى سخرية :

— با ۛ اعقل ، مالک ومال الشبکه دى ؟

فقال شفيق وهو يتسم :

— أنا وأنا بكامل عقلی ، باعز مكم يوم الجمعة ومصمم على العزومه
دى .

فقالت الأم وهى تهز كتفها :

— إيه . ذنبك على جنبك .

وقال الأب :

— على نفسها جنت براقش .

الفصل الثالث عشر

شرعت الأم في دس قدمها في الجورب النايلون ، وراحت تعالجه في حرص شديد ، كأنما نسج من خيوط العنكبوت ، ولما تم لها لبسه ، انتصبت واقفة ، ودارت بعجزها ونظرت لتطمئن إلى استقامة خط الجورب الخلفي ، وإذا « بسوزى » يقفز من فوق السرير ، ويهرع إليها ويشب على ساقها فتتشب أظافره في الجورب وتمزقه ، فدفعته بقدمها في غيظ وهي تقول :

— كتنا ناقصينك انت راخر .. يا سامى ..، يا مراد .. تعالوا خدوا الكلب ده من هنا .

وأقبل سامى ، وقال :

— فيه إيه يا ماما ؟

— خد الكلب ده اللى من يوم ما جه ما شفتنا يوم راحه .

فقال سامى وهو يتحنن ليحمله :

— عمل إيه بس ؟ دا راجل طيب .

فقالت وهي تخلع الجورب وتنظر فيه :

— قطع الشراب اللى لسه تمته ما بردش ، وامبارح طلع قطن الكنبه ، وأول امبارح نزل الشارع مع عاطف جه وسخ البياضات كلها ، وما زاد (أم العروسة)

وعاد إلا نومه على السرير على طول ، هي بقت شقتنا ، دى بقت شقة أبوه .

وجاء حسين وقال :

— أبوه مين بس ؟ هو فيه أبو حد هنا غيرى ، ياللا ، انتى لسه ما لبستيش ؟ الناس قلقوا .

فقلت وهى تشير فى غيظ إلى الكلب :

— ما هو السبب ، هو اللى عطلنى .

— دا انتى بتلبسى من بعد الغدا ، الساعة بقت ثلاثه ونص ، فاضل نص ساعة ع الحفله .

— أنا خلصت أهو .

والتفتت إليه وقالت :

— إنت ح تنزل امتى ؟

— الساعة سته .

— طب إن صحيت هاله لبنها عندك فى الثلمية ، ولما تيجى تخرج سلمها لسامى .

وتلفتت وقالت :

— أمال فىن مراد ؟

فقال سامى :

— يذاكر .

ونادت الأم :

— مراد .. مراد .

وجاء مرادوفى يده كتاب إنجليزى وفى خده وشفتيه أثر حبر ، فقالت له :

— أنا مش فاهمه ، إنت بتشرب الحبر ؟ إيه الحبر دا اللى فى بقك ؟ .
فقال وهو يمسخ فمه بيده :

— كنت باحل الحساب ، وأنا بافكر نسيت وحطيت سن القلم فى
بقى .

واقترب خطوة وقال :

— تعرفى يا ماما أنا صعبان على قوى الأولاد الانجليز الصغيرين .
— ليه ؟

فقال وهو يرفع الكتاب الإنجليزى فى يده :
— إزاي ينطقوا الكلام الإنجليزى الصعب ده ؟!
فقالت له أمه :

— ما يصعبش عليك غالى .

وقال له أبوه :

— والله انت اللى صعبان على .

ثم التفت إلى الباب وقال :

— واللى مستنيين بره صعبانين على روبرين .

فقالت الأم :

— أنا خلاص لبست أهه .. خلى جلال وشفيق وأحلام يسبقونى ع
العريه ، وأنا نازله على طول . وانبت يا سامى خد أخوك وع المطبخ

اغسلوا الاطباق ، وشيلوهم محلهم .

فقال سامى :

— أمال ح نذاكر إمتى ؟ ما تحييو الكم خدامه تغسل الاطباق وتكنس

وتمسح .

ف قالت الأم :

— إن جبنا بنت ح ندفع لها أجرتها م الفلوس الى بتروحووا بيها السينا ،

والى بتركبووا بيها عجل .

فقال مراد وهو يضع كتاب الإنجليزى على التواليت :

— لا . دا احنا نغسل الاطباق قوى ، ونلحسها بلسانا كان .

وخرج سامى ومراد من الغرفة ، وسمع صوت مغادرة أحلام وجلال

وشفيق الشقة ، والتقى الوالد ومراد وسامى فى المطبخ ، وإذا بالأوانى

والصحاف والشوك والسكاكين والأكواب مكدسة فى انتظار من

يتفضل بغسلها .

ووضع سامى الكلب على الأرض ، فأسرع يلحق الصحاف ،

وارتدى سامى « فوطة » المطبخ ، وشر عن ساعده ، بينا راح مراد

يحمل الأوانى على صدره ، دون أن يحفل بثيابه .

وجاء عاطف يصيح ، وفى يده غصن شجرة ، يضرب به الأرض :

— جلال وأحلام رايجين فىن ؟ أروح معاهم .

خرجت الأم من غرفتها بعد أن اطمأنت إلى أناقتها ، والتقت بعاطف

فى الردهة ، وما إن وقع نظره عليها حتى قال :

— وانتى خارجه معاهم ؟ وأنا ح اروح معاكم .

فقال له الأم وهى تبعد يديه عن ثوبها :

— خليك هنا ، وح اجيب لك حاجه حلوه .

— ح تجيبى لى إيه ؟

— ح اجيب لك عروسه .

— لأ . أنا مش عايز عروسه ، أنا عايز عريس زى أحلام .

فقال له وهى تبتسم :

— إنت راجل . تيجى لك عروسه .

— لأ . أنا عايز عريس ، عريس يركبنى أتومبيل .

— طيب . بس اسكت ..

وهمت بالخروج ، وإذا به يعترض طريقها وقد بسط ذراعيه يحول بينها

وبين السير ، وغصن الشجرة يسد الطريق :

— مش ح تنزلى إلا لما تدينى قرش قبله .

وفتحت حقيبة يدها ، وأخرجت منها قرشا ودفعت به إليه وانطلقت

فى سبيلها ، وهى تنظر إلى المطبخ وترى زوجها وسامى ومراد منهمكين

فى غسل الأواني والأدوات .

وهبطت إلى الطريق ، وتقدمت إلى السيارة ، فإذا بجلال قد جلس

خلف عجلة القيادة وأحلام إلى جواره ، ووقف شفيق عند الباب وقد

فتحته ينتظر ركوبها ، فصعدت إلى المقعد الخلفى ، وصعد شفيق فى

أثرها ، ثم انطلقت السيارة بهم .

. وبلغوا المدرسة ، وراحوا يصعدون في درج دائرى ، ورأت الطالبات أحلام فحفر إليها بعضهن يضافحنها ، وإن كانت عيونهن تنفرس في جلال وشفيق .

ودلفوا إلى قاعة واسعة ، أقيم المسرح في صدرها ، وصفت فيها كراسى خيزران ، فاتجهوا إلى الصفوف الأمامية ، والأنظار تتبعهم ، كانت الطالبات في شوق إلى معرفة خطيب أحلام ، فلما جلست أحلام وإلى جوارها جلال ، سلطت الأنظار عليه تفحصه من قمة رأسه إلى أخمص القدم .

وراحت مدرستان تديمان النظر إليهم ، ومالت إحدهما على الأخرى وقالت :

— الثانى أحلى من خطيبها .

— والنبي ياختى راخر شربات . ما وحش الاقلته .

ونفضت ، وراحت تصلح هندامها ، فقالت لها زميلتها :

— على فين ؟

— رايحه أسلم على أحلام ، واتفرج .

فنهضت الثانية وقالت :

— خدينى ياختى معاكى .

وانطلقتا إلى أحلام ، فلما رأتهما ارتبكت ، وقامت تحية لهما ، وقد توردت وجنتاها بلون الورد .

وقالت الأولى :

— إزيك يا أحلام ؟

— الله يسلمك يا أبله منيره .

وقالت الثانية :

— سنه طويله ما حدش يشوفك ، يخونك العيش والملح .

— والله ما باخرجش يا أبله وداد .

وسكن اضطرابها ، فالتفتت إلى أمها وقالت تقدمها إليهما :

— ماما .

— أهلا وسهلا .

وقالت وداد متملقة :

— والله ما افكرناهاش ماما ، افكرناها أختك الكبيره !

وأرضى ذلك الملق غرور الأم ، فقالت :

— الناس كلها بتفتكر كده .

وقالت أحلام وهي تشير إلى جلال وشفيق :

— جلال والأستاذ شفيق .

ومدت المدرستان أيديهما ليتمتا بالمصافحة ، وعيونهما تتجول في

وجهي الشاين ، وقالتا :

— اتشرفنا .. فرصه سعيده خالص .

وقالت منيرة :

— أحلام دى .. دى .. دى أختنا .

وقالت أحلام وهي تشير إلى مقعدين خاليين إلى جوارهما :

— ما تفضلوا جنبنا هنا .

— متشكرين ، أنت عارفه ما نقدرش نقعد النهارده فى حتته واحده ،
أورفوار مؤقتا .

وانصرفنا وما إن ابتعدنا عنهم ، حتى قالت منيرة فى مرارة :

— بنت امبارح بقت عروسه النهارده ، آمال احنا مالنا .

فقالت وداد وهى تمصمص بشفتيها :

— قسم .

ثم رفعت بصرها إلى السقف وقالت فى ابتهاج :

— يا رب ارزقنا بقى بعدلنا .

فقالت منيرة :

— إن شاء الله يا وداد يا اختى . من بقلك لباب السما .

وراح جلال يتفرس فى المسرح ، فألفاه مكونا من موائد المطعم ،
وقد شدت جوانبه بالخيش ، أما الستارة فكانت من مفارش سرر شبك

بعضها إلى بعض بدبايس إبرة ، والتفت إلى أحلام وقال :

— أظن انتو ساهمتوا فى بنا المسرح ده .

فقالت أحلام وهى تبتسم وتشير بأصبعها إلى الستارة :

— طبعاً ! مفرش السرير الثالث ده بتاعنا .

وقالت لها أمها همسا :

— نفسى يا أحلام ما تشوريش بصباeck وانتى بتتكلمى .

فقالت لها أحلام :

- يا ماما انتى نفسك فى حاجات كثير ، مش ممكن تتعمل .
وظهر الميكروفون أمام الستارة ، فقال شفيق فى تأوه :
— آه . ح نشرب أكبر مقلب ، الخطبة ، نفسى يطلع قانون يحرم
الخطابة فى الحفلات .
فقال أحلام وهى ترنو إلى جلال فى حب :
— كلهم نفسهم مفتوحة النهارده ، عمالين يتمنوا ، ماما قالت
نفسى ، وشفيق قال نفسى ، وانت ما نفسكش فى حاجه ؟
فقال وهو ينظر إليها فى حب :
— نفسى فى حاجات كثير قوى .
— نفسك فى إيه ؟ قول .
فقال وهو يرمقها بطرف عينه فى خبث :
— ما اقولش ، وان كنت عارف انك عارفه اللى نفسى فيه .
وأسبلت جفניה دلالا ، ورفت على شفيتها بسمة عذبة ، واقترب
رأسه من رأسها ، وإذا بصوت الناظرة فى جنبات القاعة ، فيفيقان من
حلم لحظتهما .
وراحت الناظرة ترحب بالمدعوين ، فى أسلوب متحذلق . فقال
شفيق على جلال وقال :
— أراهن إن اللى كتب الخطبه دى مدرس لغه عريبه عتيق .
فقال له جلال :
— أمال ح يكون مدرس انجليزى !

— مش قصدى . قصدى انه مدرس يهتم باللفظ بس يفضل اللفظ
الرنان ولو شوه المعنى .

وقالت أحلام :

— الى بيكت الخطب كلها أبو الأسود الدؤلى .

— يدوب كده ، باين على الخطبه إنها من أيام سيدنا على .

وضحكت أحلام وقالت :

— مش أبو الأسود بتاع أيام سيدنا جلى ، دا الشيخ الى قاعد هناك
ده ، البنات مسمينه كده .

ونظر جلال وشفيق إلى حيث أشارت أحلام ، فإذا بشيخ معمم
يصغى إلى الناطرة فى انتباه ، وهو يهز رأسه إعجابا ، كأنما يصغى إلى
مطربة ، فقال شفيق فى حماسة :

— مؤكد هو الى كاتب الخطبه دى ، لأن كل كلمه فيها لابسه عمه
وكاكولا .

— وانتهت الناطرة من خطبتها ، فصفق شفيق فى شدة ، وقال له
جلال :

— إيه الإعجاب ده ؟

— ده إعجاب بأنها خلصت الخطبه .

وفتحت الستارة ، وإذا بطالبة فى ملابس « بلياتشو » فضج الفتيات
بالضحك . فراحت ترقص حاجبيها ، ثم قامت ببعض ألعاب بهلوانية .
وقفزت إلى أعلى ، فإذا بها ترتفع حتى وصلت إلى سقف الغرفة ، كان فى

وسطها جبل متصل بيكرة حديد قرب السقف ، فلما قفزت جذب بعض زميلاتها المختفيات خلف المسرح طرف الجبل الآخر .
وبقيت متعلقة في الهواء ، وتحرك ساقها وذراعها في حركات مضحكة ، بين ضجيج المدعوين وضحكهم .

وأغلقت الستارة ، ودوى التصفيق ، ففتحت الستارة ثانيا ، وأرخت الفتيات المختفيات خلف المسرح الجبل قليلا ، ثم جذبتة ثانية فبدت الفتاة كأنها تنحني للمصفقين ردا على تحيتهم ثم تنتصب قائمة .
وسرى في القاعة همهمة ، بعد انتهاء ذلك المشهد ، وارتفعت الضوضاء ، وإذا بدقات متتابعة على خشبة المسرح تعلن بدء المشهد التالى ، وفتحت الستارة وانبعثت من الفونوغراف موسيقى راقصة ، وظهرت على المسرح فتيات في ثياب قصيرة بيضاء فبدت سيقانهن وأفخاذهن ، ورحن برقصن على الأنغام ، وحملت الأم فيهن وهن يتمايلن ، كانت تبحث بعيونها عن نبيلة وهى مبهورة النفس ، وفى وجهها قلق وضيق .

ودخلت نبيلة المسرح وحدها تسير على أطراف أصابع قدميها لتتقدم المجموعة ، كانت فى ثوب وردى قصير غاية القصر ، وكان صدرها عاريا ، ولا يستر ساقها وفخذها إلا جورب أبيض قصير ، وطرف الثوب الذى كان على شكل دائرة .

وشهقت أمها فى صوت خافت :

— يادى الفضيحة !

ولم يلتفت أحد إلى اعتراضها ، كان شفيق يرمقها في إعجاب ، وقد فغز فاه ، وراح جلال يرقب الرقصة في شغف أما أحلام فقد راحت تهز رأسها في نشوة .

وتحركت الأم في مقعدها في ضيق ، وقالت :

— ليه نبيله تعمل كده ؟

فقال شفيق في نبرات حاملة :

— مدهشه .

وتألق ضوء خاطف ، وقالت الأم في فزع :

— صورها ! تبقى نايله لو نشر صورتها في مجله وهى بالشكل ده .

مش ح تتجوز أبدا ، قوم يا جلال هات الصورة منه .. دى فضيحه ..

ح يضيع مستقبل البنت ، مش ح تتجوز أبدا .

فقال شفيق ، وهو يحملق في نبيلة ويتبعها بعينه :

— اطمنى ما تخافيش ، أنا هنا .

وحسبت الأم أن شفيقا يعدها بأنه سيستولى على الصورة ويمنع

نشرها ، فقالت له :

— ربنا يستر ك .

وانتهت الرقصة ، وأقفلت الستارة ، وأقبلت المدرسات على الأم

بصافحنها ويهئنها :

— مبروك .. يا سلام على نبيلة . كانت مدهشة .

وراحت الأم تحملق فيهن وهى فى حيرة من أمرها ، وجاءت نبيلة

بملايس الرقص ، والفتيات يرمقنها في حسد ، ويقلن :

— إيه ده كله ؟ .

وابتسمت في زهو ، ولختها أمها فصاحت فيها :

— وجابه عريانه ؟ مش مكسوفه ؟ ياللا ع البيت ياللا .

وخف إليها شفيق وقال لها وهو يصافحها :

— مدهشه .. جنان .

فقالت الأم في ضيق :

— صحيح جنان ، واللى يطاوعكوا يستاهل أكثر من كده .

والتفت شفيق إلى الأم وقال لها :

— إنت زعلانه ؟

— أمال عايزين أفرح ؟

— إيه اللى مزعلك .

— عاجبك كده ؟ عاجبك واقفتها عريانه ؟!

والتفتت إلى نبيلة وقالت في عزم :

— نبيلة .. روحى البسى هدومك وياللا ع البيت .

وانسحبت نبيلة ، وقالت أحلام لأمها :

— مش ح نقعد لآخر الحفلة ؟!

فقالت الأم :

— ع البيت على طول .. يا نيتى لو طلعت الصوره فى الجرائد ح

يتوقف حالها . مش ح بتجوز أبدا .. مين اللى يرضى يتجوز واحده

عريانه بالشكل ده ؟

فقال شفيق وهو يتسم :

— ما قلت لك اطمنى أنا هنا .

وفهم جلال وأحلام ما يرمى إليه فابتسما ، أما الأم فلم تفهم قصده ،
وقالت فى ضيق :

— ما قلت لى اطمنى قبل كده ، ولا جبت الصورة ولا حاجه ، وأهو
المصوراتى داير يصور فى البنات ، أروح أنا اجيبها منه ؟
وتيقن شفيق أنها لم تفهم غرضه ، وأراد أن يرضيها فقال لها :
— أنا رايح للمصوراتى أجيب الفيلم منه .

وذهب إلى الرجل واتفق معه أن يبعث إليه بصورة نبيلة فى حجم
كبير ، والصورة السلبية ، وأعطاه عنوانه ودفع له القيمة مقدما .
وأقبلت نبيلة بعد أن استبدلت ثيابها ، وما إن رأتها أمها حتى قالت
لها :

— ع البيت قدامى .

وسارت نبيلة وشفيق وأحلام وجلال وانطلقت الأم خلفهم وهى
تغمغم :

— دا مجنون اللى يسيب بناته على حل شعرهم .. قال على رأى المثل :
« كنا فى جره وطلعنا بره » .

الفصل الرابع عشر

استيقظ الأولاد مبكرين ، وراحوا يغدون ويروحون في الردهة
مسرعين ، هذا يخلع ثيابه ليرتدى ثياب الخروج ، وذاك يمشط شعره وهو
يدور بعينه في المكان ويقول :

— آمال الجزمه فين ؟

وذهبت نبيلة إلى الساعة ونظرت فيها ، ثم اتجهت إلى غرفة أبيها
وطرقت الباب في رفق وهي تقول :

— اصحوا بقي ما فيش وقت ، زمان شفيق جاى .

وقالت الأم من الداخل وهي راقدة في فراشها :

— افتحى وخدى هاله لبسيها .

وفتحت نبيلة واتجهت إلى سرير هالة وحملتها وقالت لها مداعبة :

— تعالى يا ستى عشان تروحي العزبه ، يالى عمرك ما شفتى عزبه .

فقال لها أمها :

— يعنى انتى اللى شفتيها ؟

— طبعا شفتها .

— شفتيها فين بقى ؟

— فى السينا .

- وغادرت نبيلة الغرفة وقال الزوج :
- يا للا ما فيش وقت يا دوب تلبسى .
- ونفضت وهى تتمطى ، وتركت الغرفة ، فألفت أحلام قد انتهت من عاطف ، وبدأت فى تمشيط شعر سوسن ، فقالت :
- ما فيش خروج قبل الشقة ما تنتضف . سامعين ؟
- فقال مراد :
- أنا ح اكنس الأوده المفروشه ..
- وقال سامى :
- وأنا ح امسح المطبخ .
- وقالت الأم :
- وانتى يا نبيلة املى القلل وحطى هدموم هاله فى شنطتها ، وما تنسيش تاخدى هدموم لعاطف ومراد .
- فقالت نبيلة وهى تبدل ثياب هالة :
- حاضر .
- ودلفت الأم إلى الحمام وهى مسرورة ، لم تسمع اعتراضا ، ولم تر تدمرا ، كانوا جميعا سامعين مطيعين .
- وذهب عاطف إلى أبيه وهو يحمل كلبه ، وقال له :
- يا بابا احنا رايمين العزبه ؟
- أيوه .
- وح ناخذ سوزى معانا العزبه ؟ .

— أيوه .

— الا يا بابا العزبه يعنى إيه ؟

وحك الأب رأسه يظفره ، وشرد يفكر برهة ثم قال :

— العزبه يعنى بيت كبير حواليه غيطان .

— غيطان يعنى إيه يا بابا ؟

— يعنى جنينه واسعه تزرع كوسه وكرنب وبرتقال وموز وكل

الخصار والفاكهه اللى بتاكلها .

— آه .

فقال الأب وهو يعبث فى رأسه فى حنان :

— عايز حاجه تانى ؟!

— أيوه . عايز قرش .

ومد الأب يده فى جيب البنطلون وناولوه قرشا ، فأطبق عاطف يده

عليه وقال :

— وسوزى عايز يضيع .

ودفعه أبوه فى رفق يخرججه من الغرفة وهو يقول له :

— بره يا بكاش .

وخرج عاطف من الغرفة وهو يضحك ضحكة تتم عن مكر ودهاء ،

وعادت الأم ، فقال لها حسين :

— شهلى شويه ما فيش وقت ..

— دنا ح البس قبلك .

(أم العروسة)

ووقفت تفكر برهة ، ثم قالت له :

— قل لى ألبس إيه ؟

فقال وهو يطوح ذراعه فى حنق :

— أوه . إنت لسه ما فكرتيش ح تلبسى إيه ؟ يبقى مش ح نخرج قبل

الضهر . البسى أى حاجه ، انتى رايحه فىن يعنى !

وفتحت الصوان وراحت تقلب ثيابها لتختار منها ما ترتديه ، وهى

تقول :

— أنا عارفه أتومبيل إيه ده اللى ح يساعنا كلنا ! .

وأقبلت نبيلة تحمل هالة ، وجاءت أحلام وقد تأهبت للخروج

ونظرتا ثم قالتا معا :

— لسه ما لبستيش يا ماما !

— ناولو فى الجزمه .

— حاضر .

— طلعى لى يا أحلام الشراب الأسود .

— حاضر .

— جهزنى شنطة هاله يا نبيله ؟

— جهزتها . فيه حاجه تانيه ؟

وأثلجت تلك الطاعة صدر الأم ، فتمنت أن يصبح ذلك حالهم على

الدوام ، وشاءت أن تنعم بتلك الطاعة الطارئة فقالت :

— روحى يا نبيله شوفى مراد مسح جزمته وخذ مناديل نظيفه واللا

عمل إيه ؟

— حاضر .

وتحركت نبيلة ، وذهبت أحلام وسوسن وعاطف إلى الشرفه ليرقبوا الطريق .

وقالت الأم :

— عيني بارده ع الأولاد النهارده ، إيه اللي جرى لهم ، متشطين من بدرى وكل ما نقول لهم حاجه ، يقولوا حاضر .

— مش فاضيين للزعيق والخناق ، عايزين يخلصوا . أنفسهم يغمضوا ويفتحوا يلاقوا أنفسهم في العزبه .

— أنا عارفه ما كانش لك عزبه ليه .

— الحمد لله على كده .

وسمع نداء كلاكس سيارة ، وإذا بأحلام وسوسن وعاطف يقبلون مهرولين يتصايحون ، وبلغت أحلام غرفة والديها فقالت :

— جلال جاب عرييه وشفيق بعرييته .

فقالت الأم في راحة :

— أيوه كده ، مش كنا ح نندس في عريية زى علبة السردين !

ووقف جميع الأولاد على باب الغرفة يحثون أنهم على الإسراع :

— ياللا يا ماما ياللا يا ماما .

— انزلوا انتو وأنا محصلاكو .

وقال الأب :

— سوسن ومراد ونيلة وماما يركبوا مع شفيق . وأحلام وسامي وعاطف وأنا نتركب مع جلال .

وانطلق الأولاد يعدون في مرح ، وقال عاطف لسامي :

— خد سوزى .

— أنا مالى .

وتناولت أحلام يد عاطف ، وخملت الكلب وانطلقت وكل خالجة فيها تنطق بالغبطة والسرور .

وخلت الشقة إلا من الزوجين ، والتفتت زينب إلى زوجها وهى فى طريقها للهبوط وقالت :

— يا راجل ليه تفرق بينا ، كنا ركبنا سوا فى عرييه واحده .

— كل واحد منا ف عرييه عشان ناخذ بالنام العيال .

فقالت فى دلال :

— قول إنك زهقت منى .

فلف ذراعه حول ظهرها ، وضغط على كتفها البعيدة بيده فى حب وقال :

— مش معقول .. تصدق . متبألى اننا متجوزين من كام شهر

بس .

— والأولاد دول كلهم .

— أنا عارف جم إمتى ؟

وهبطا إلى الطريق ، فحف إليهما جلال وشفيق وراحا يصافحانهما

ونظر الأب فألقى أحلاما قد جلست في المقعد الأمامي في العربة الأولى ،
ونبيلة قد جلست في المقعد الأمامي في عربة شقيق ، وقد أعطت هالة
لسوسن ، فقال :

— مراد يركب قدام جنب نبيله .

وقفز مراد في مثل لمح البصر من المقعد الخلفي إلى المقعد الأمامي ،
فأفسحت له نبيلة مكانا إلى جوارها ، وإن كانت ملامحها تنطق بعدم
رضاها .

وقال الأب لسامي ، قبل أن يهم بالصعود إلى السيارة :

— سامي . عد اخواتك .

فراح سامي يعدهم ثم قال :

— سته والكلب .

فقال الأب في إنكار :

— سته إزاي ! ييقوا ناقصين واحد عدهم تاني .

فراح سامي يعدهم مرة أخرى وقال :

— برضه سته والكلب .

وأخذ الأب في عددهم وهو يشير بأصبعه إلى كل منهم ، فلما أشار إلى

سامي فغرفاه ، فقد عرف خطأ نفسه ، وقال الأب :

— مش عارف تعدهم ؟! سبعة والكلب .

— آه . أصلي نسيت أعد نفسي .

وقال الأب :

— مش ناسيين حاجه قبل ما نمشى ؟

وقال الجميع :

— مش ناسيين حاجه ياللا بقى .

وركب الجميع ، وانطلقت السيارات ، حتى إذا بلغنا محطة بنزين عرجنا للتزود بالوقود وأطلت سوسن من نافذة السيارة وقالت :

— بابا .. بابا . أنا ما خدتش قرش . خليه معاك لما نوصل .

وقال عاطف وهو يعطى الكلب لأبيه :

— بابا . خد سوزى شويه .

— حاضر ..

والتفت أحلام إلى أبيها وقالت :

— بابا ما قتلش . لما فتع الصايغ قال لك إيه ؟

— قال بعد بكره ح يسلمنا كل حاجه .

وقرعت « بابا » المتناثرة من السيارتين أذن عامل المحطة فاقترب من

النافذة الجالس عندها حسين وقال له :

— اسم النبي حارسهم كلهم ولادك ؟

فقال له حسين وهو يتسم :

— أيوه .. والباقي سبتهم فى البيت .

فقال له الرجل فى رثاء :

— الله يكون فى عونك . دنا عندى تلاته عقلى ح يشت .

فقال له حسين فى بساطة :

— ثلاثه يبقوا صعب ، لكن لما ييزيدوا عن كده أمرهم ييهون .
واستأنفت السيارتان رحلتها ، كان شفيق في المقدمة وجلال
خلفه ، وكان السكون مسيطرًا على سيارة جلال ، الأب جالس يعبث
في شعر الكلب وعاطف واقف ينظر من زجاج السيارة الخلفي يشاهد
الحقول والترع والأشجار الممتدة على جانبي الطريق وهو مأخوذ .
كانت أول مرة يشاهد فيها ذلك الفضاء العريض . ووضعت أحلام
رأسها على حافة المسند وشردت ببصرها ، وهامت في عالم من
الأحلام ، كانت السعادة تغمرها ما دامت بالقرب من جلال .

وضاق سامى بذلك الصمت ، فقال :

— تعرف العزبه يا جلال ؟

— طبعا .

— طب ياللا نطلع من شفيق .

وزادت سرعة السيارة ، وانحرفت إلى اليسار قليلا . واستمرت في
تقدمها حتى أصبحت في محاذة سيارة شفيق فصاح سامى في نشوة :
— هيه .

وشاركته أحلام في صياحه ، ثم التفت عاطف وشاركهما في التهليل
ونظر الأب فألقى الأم ناحيته لم يكن يفصل بينهما إلا لوحا زجاج
السيارتين ، فأخرج لسانه لزوجته ، وانسابت السيارة حتى أصبحت في
المقدمة .

وضايق ذلك ركاب السيارة الأخرى ، فقال مراد :

— ياللا نسبقهم .

وقالت نبيلة :

— ياللا يا شفيق .

ولم تعترض الأم ، كانت تفكر في طريقة ترد بها على مداعبة حسين .
واندفعت السيارة في عدوها تنهب الأرض ، ومرق شفيق بمهارة من
جوار سيارة جلال ، ونبيلة ومراد وسوسن يتصايحون مسرورين أما الأم
فقد وضعت إبهامها على أنفها وراحت تحرك أصابعها في الهواء زراية
وسخرية .

وانسابت السيارتان في طريق زراعى ضيق ، الحقول الخضراء مترامية
عن يمينه ، قامت بيوت متواضعة من طين ، وامتدت التربة عن يساره ،
تندفق بالأمل والحياة . وأحسست الدواجن والطيور التي كانت تمشى في
تؤدة واطمئنان على شاطئ التربة إقبال السيارتين ، فراحت تفسح
الطريق ناشرة أجنحتها وقد ارتفعت صيحات الأوز ، حتى كادت تغطي
على صوت السيارة .

ونظرت الأم ، فلمحت فلاحا مقبلا على ظهر حماره ، يسير في
عرض الطريق ، فقالت :

— حاسب يا شفيق الحمار .

والتفتت سوسن ، وراحت ترقب الحمار في انتباه ، ثم قالت :

— ماما . بابا يقول لمراد يا حمار له ؟ دا الحمار كبير ويمشى على

إيديه ورجليه وله ديل وودان طويله !

ومد مراد يده وقبض على ذراعها وقال :

— وبعدين معاكى ؟

ولم تأبه به ، بل قالت :

— ماما .. نفسى أركب حمار .

فقال شفيق :

— دلوقت أركبك حمار . ادى احنا وصلنا .

ووقفت السيارة أمام باب كبير ، يتوسط سورا من اللبن ، مطلى بالجير ، وضغط شفيق فى الكلاكس ، وإذا بالباب يفتح وانطلق شفيق فى ممر بين الخضرة والأزهار والأشجار العالية ، وجلال فى أثره ، حتى بلغ سلام الدار فوقف عندها .

وهبطت نبيلة والأم تحمل هالة ، وسوسن وعاطف ومراد وصعدوا فى الدرج قليلا ، ثم وقفوا ينظرون إلى فناء الدار الواسع ، وفى وجوههم إعجاب . كانت الأشجار العالية كمردة حارسة على حوافه ، بينا غطت الخضرة المكان ، تتخلها ممرات نسقت تنسيقا بديعا ، ونبتت الورود والزهور فى أحواض تحف بها خضرة أزهى من الخضرة التى تغطى المكان جميعا .

ووقفت سيارة جلال ، وهبطت أحلام ووالدها وسامى وعاطف يحمل كلبه ، وخف إليهم شفيق وقال :

— حمدا لله ع السلامه .

وصعدوا بضع درجات ونظر الأب وقال :

— حاجه جميله .

فقال جلال وهو ينظر إلى شفيق :

— مهندس زراعى ، إن ما كنش يهندس بيته ، ح يهندس بيت مين ا

وسار شفيق أمامهم وقال :

— اتفضلوا .

وبلغوا ردهة تؤدى إلى بعض غرف ، وفى جانبها الأيسر درج يقود

إلى الطبقة العليا وقال :

— اتفضلوا فوق استريحوا وانا وسامى وجلال وعاطف ح نستريح

ونغير هدومنا هنا . وح نتقابل فى الجنينه تحت .

وصعدوا فى الدرج ، وقد ارتفعت الضوضاء ، سوسن تطلب

ركوب الحمار وعاطف يقلدها ، ونبيلة تحت أحلام على الإسراع حتى

لا يفوتهم التمتع باليوم كاملا .

وبدلوا ثيابهم والتقوا فى الحديقة ، وقد تركت الأم هالة مع خادم

. قروية ، وقال شفيق :

— تعالوا أفرجكوا الجنانين بتاعتنا .

وغادروا الدار ، وانطلقوا فى حقول الفواكه ، وراحت نبيلة تملأ

رئيتها بالهواء ، وشفيق يسترق النظر إليها ، وسار جلال إلى جوار أحلام

وقد أمسك يده فى يدها ، وراح سامى ومراد يعدوان ، وعاطف

ونسوسن يجريان فى أثرهما .

وقال جلال :

— إيه رأيك نمضى شهر العسل هنا ؟

وقالت نبيلة :

— ياريت يا أحلام ، دى جنه .

وقال شفيق :

— اتفضلوا . العزبه واللى فيها وصاحبها تحت أمركم .

والتقت عيناه بعيني نبيلة ، فأحست أن حديثه لها ، فتفتحت نفسها
ومست أوتار قلبها يد حنونة ، راحت تعزف أنشودة الحب الخالدة .

وبلغوا حديقة المانجو . فوقف الجميع ينظرون فاغرى الأفواه ،
حتى الأب سال لعبه ، ومد شفيق يده وقطف واحدة ، وقال :

— دوقوا مانجتنا ، مانجه حلوه .

وهجم الجميع على المانجو ، وغاصت أقدامهم في الطين ، ولكنهم لم
يحفلوا بذلك ، وامتدت الأيدي ، وقطفت الثمر المتدلى ، وتلوثت
الأكف والوجنات والذقون وراح عاطف يمسح يديه في صدره ، ونهرته
أمه ، واعتبر مراد فلم يمد يديه إلى ثيابه ، بل راح يمسحها في ورقة من
أوراق الشجر ، فاختلط عصير المانجو بالتراب : ومرر يده على فمه
وذقته وخديه ، فإذا بوجهه يتلوث بالطين ، ولحته نبيلة ، فراحت
تضحك وهي تشير إليه بأصبعها ، وسدد الجميع إليه نظراتهم ثم انفجروا
ضاحكين :

واستمروا في تجواهرهم ، وفي عودتهم إلى الدار مروا بالحظيرة ، فألفوا
حصانين وبعض أبقار ، وراح شفيق يمرر يده على رقبة الحصان وقال

سامى لأبيه :

— مره يا بابا حكيت لنا إنك ركبت حصان فى الهرم وسبقت بيه
أتومبيل . الحصان اهه ، ورينا يا بابا بتركبه إزاي ؟

والنف الأولاد جميعا حول أبيهم وقالوا :

— والنبى يا بابا عايزين نشوفك وانت راكب الحصان .

واتسعت عينا الأب ، وبلغ ريقه ونظر إلى زوجته يتوسل إليها أن
تنقذه ، ولكنها أعرضت عنه ، فلم ير مفرا من التهرب والتماس المعاذير ،
فقال :

— مش دلوقت . تعينام المشى .

فقال سامى :

— والعصر يا بابا بعد ما تستريح نحضر لك الحصان .

وقالت سوسن لشفيق :

— عايزه أركب الحمار .

— حاضر .

وأمر خادمه أن يحضر حمارين .

وعادوا إلى فناء الدار وجلسوا على كراسى خيزران صفت فوق
الحشيش ، وجيء بالحمارين ، فهرع مراد وسوسن وعاطف إليهما ،
وركب مراد حمارا ، وركب عاطف وسوسن الحمار الآخر ، وقال
الأب :

— طالع فوق شويه أستريح .

وقالت الأم :

— لما اطلع أنيم هاله .

وانصرف الوالدان ، وذهب شفيق وأحضر فونوغرافا ، وجلس على الحشيش ، فترك جلال وأحلام ونبيلة وسامى كراسيهم وجلسوا على الأرض .

وانبعثت الموسيقى ، كانت نفس الموسيقى الراقصة التى انسابت يوم حفلة المدرسة ورقصت عليها نبيلة .

ونظر شفيق إلى نبيلة وقد توجت فمه بسمه ، فأطرقت نبيلة حياء ، وقال جلال :

— ياللا يا نبيله .

فأدارت وجهها ، وقالت :

— لأ .

وقالت أحلام :

— وش كسوف قوى . ياللا .

وقالت لشفيق :

— دور الاسطوانات الأول .

ونفضت نبيلة ، وبدأت فى الرقص ، وتعلقت عينا شفيق بها ، وراح يمرر لسانه على شفثيه .

وانتهت نبيلة من رقصتها ، وارتمت على الأرض ، وشفيق يتفرس فيها . ونفض جلال وجذب أحلام من يدها ، وقال وهو ينظر إلى

الحمارين :

— تعالى ناخذ لنا دور .

وقامت أحلام ، ونهض سامى وقال :

— وانا جأى آخذ دور كمان .

وهبط مراد عن ظهر الحمار ، وراح جلال يعاون أحلام على امتطائه ، وهى تميل على صدره وتضحك ، حتى إذا ما استوت على ظهره وأمسكت باللجام ، لكزه فى بطنه فهرول وأحلام تصيح وتضحك وتطلب النجدة .

وركب جلال الحمار الآخر وراح يعدو فى أثرها ، ويضرب حمارها وهى تتوسل إليه أن يكف . وانطلق مراد وسوسن وعاطف يجرون خلفهم ، بينا وقف سامى يرصد أحلام وينتظر عودتها ليأخذ الحمار منها .

وبقى شفيق ونبيلة وحدهما على الأرض ، راحا يتبادلان النظرات ويتناجيان بأرق حديث وأعذبه وإن لم تنفرج لأحدهما شفة . كانا يتحدثان حديث روح لروح ، وقلب لقلب .

ومر الوقت ، وجاء العصر ، فإذا بشفيق قد أقبل يقود الحصان من لجامه ، وقد أسرجه ، ونبيلة تسير إلى جواره وأحلام وجلال والأولاد جميعا خلفه ، وقد اتسخت ثيابهم ، وكان مراد أكثرهم قذارة .

ووقف شفيق عند درج الدار ، وصعد مراد وسامى يهرولان ، حتى إذا بلغا الغرفة التى بها والداهما قال سامى لأبيه :

— بابا الحصان جاهز تحت .

ونظر الأب من النافذة ، ورأى الحصان يهز ذيله ويضرب الأرض بحافره ، ويصهل ، فعاد وهو يمر يده على بطنه ويقول :

— بطنى ح تطق ، كلنا كثير ع الغدا . مش قادر اتحرك ، بلاش النهارده ، مره ثانيه .

وأرادت زوجته أن تداعبه ، فقالت له :

— يا راجل انزل اركب شويه .

ورمقها فى عتاب ، ثم اتجه إلى السرير وتمدد فيه وقال :

— مش قادر اتحرك النهارده . مره ثانيه .

ويبس ابنه منه ، فغادراه وهبطا ، وانصرف السائس بالحصان ،

وقال سامى :

— عايزين نلعب حاجه .

فقال مراد :

— نلعب الكورة .

فقالت نبيلة :

— لأ . نلعب حاجه ثانيه .

فقال شفيق :

— نلعب استغمايه .

وقال الجميع :

— موافقون .

— أيوه ، نلعب استغمايه .

وقال جلال :

— مين الحفاء ؟ .

فقال مراد :

— أنا .

وقال سامى :

— لأ:أنا .

وقال شفيق وجلال :

— خلى سامى الحفاء .

وأغمض سامى عينيه ، وأخذ الجميع يتسللون ليختفوا منه ، وجرى مراد بعيدا ، وقالت أحلام لسوسن وعاطف همسا :

— اطلعوا فوق استخبوا عند ماما .

وأطاعاها ، وصعدا فى الدرج ، وذهب جلال وأحلام ليختفيا خلف الدار بينا خرج شفيق ونبيلة من الباب الكبير ، وصاح سامى :

— خلاص ؟ .

وجاءه صوت شفيق من بعيد :

— لسه .

ودلف شفيق ونبيلة إلى الحظيرة ، وصهل الحصان ، وأشار له شفيق

أن يصمت وهو يقول :

— هس .

ووقف شفيق وإلى جواره نبيلة ، ومس شعرها خده ، وملأ عيبرها
أنفه ، فانبثقت في أغواره مشاعر رقيقة ، واستشعر غيبوبة لذيدة تغلفه ،
وحنانا طاغيا آمرا ، يستبد به فلا يستطيع أن يعصى أمره ، فمد يده
وجذبها من يدها فاستدارت له ، وتألفت عيناه بالرغبة ، وضمها إليه
وقبلها ، فنظرت إليه بعينين ترقرت فيهما الدموع ، فقال لها في وجد :
— تروحي الجامعه ، واللا تتجوزيني وتقعدى في البيت ؟
فقلت وهي هائمة في عالم بهيج من الأحلام :
— لأ . البيت أحسن .

الفصل الخامس عشر

وضعت أحلام حقيبة كبيرة على سريرها ، وراحت تصف فيها ملابسها الداخلية والمنزلية ، وأخذت نبيلة تعاونها ، فأخرجت من الصوان بعض قمصان النوم والقطع الدقيقة التي تفتق ذهن صانعى الجمال عنها ، لرفع الثديين ، وبعض القطع الصغيرة من الثياب ، التي تسدل القمصان فوقها ، ولحتها أحلام وهي ترفع رأسها عن الحقيبة ، فقالت لها :

— خلى الهدوم دى عندك .

— ليه ؟.

— مش ح اخدها دلوقت . ح البسها فى الخمس أيام اللى فاضلين لى

هنا .

— خديهم معاكى بالمرة ، وابقى البسى من هدومى .

فقالت أحلام وهي تحاول أن تغلق الحقيبة :

— يمكن أسيهم هنا على طول ، أبقى ألبسهم لما آجى أزورك

فقالت نبيلة وهي تعيد الثياب مكانها :

— خليه زى مسمار جحا !

وارتفع صوت سوسن :

— ماما .. ماما .. الحقى . عاطف غرق هدومه ميه وهو يبحمى
سوزى .

فصاحت الأم من غرفتها :

— عاطف ، اقل الحنفية دى ، واخرج من عندك .

وصاح عاطف :

— سوزى اترغ فى الوحل باحميه .

— اخرج من الحمام أحسن إن قمت لك ح اقصف رقتك .

وأخرج عاطف من الحمام ، وقد ابتلت ملابسه ، وهو يحمل سوزى
ويضمه إلى صدره ، والماء يتقاطر من جسمه ، ولحنته أمه فهرعت إليه
وهى تصيح :

— هو انتو قروذ .. دوختونى .

وجذبتة من يده وقالت وهى تذهب به إلى غرفته :

— تعال غير هدومك اللى بتلق دى .. ح تعبى وتموت .

فقال وهو يهز كتفيه فى زراية :

— بتضحكى على ، مش ح اموت . الصغيرين ما يموتوش .

— مين اللى قال لك كده ؟

— مراد .

وأطلت نبيلة برأسها وضحكت ، ثم دارت على عقبها ونظرت
فألقت أحلام تديم النظر إلى سريرها وقد شردت فى تفكير ، فرمقتها فى
صمت ، أحست ما يعتمل فى صدر أختها من مشاعر ، وفطنت أحلام

إلى وقفة نبيلة ، فالتفت إليها وقالت وهى تقبض بيدها على السرير :

— أول سرير انتصب هنا أول سرير ح يتفك .

فخطت نبيلة خطوة حتى لمست كتفها كتف أختها وقالت :

— مش ح يتفك أبدا ، ح يفضل منصوب على طول ، لما تحينا تبقى

تريحى فيه ، وبكره هاله تكبر وتنام فيه .

ولفت نبيلة يدها حول كتف أختها وقالت :

— ح توحشنا .

ونظرت أحلام إلى أختها وقد اغرورقت عيناها بالدموع .

وخرج سامى من غرفته وفى يده كرافاتة يقلبها فى زراية ، وقد لوى

شفته السفلى ، وانطلق إلى غرفة أبيه ، فوجد أباه مطرقا فى صمت ، فلم

يحترم خلوته ، وقال :

— الكرافاتة اللى جبتها لى مش حاجه .. مش ماشيه مع البدلة . عندك

كرافته تبقى على بدلتى الجديدة شيك خالص .

فقال الأب فى استسلام :

— الكرافاتات كلها عندك ، خد اللى انت عايزه .

وعادت الأم ، ورأت سامى يقلب فى كرافاتات أبيه ، فقالت له :

— انت مش ح تبطل الطمع ده ، ياللا بره بلاش دلح .

ولم يحفل بها ، أخذ الكرافاتة التى يريدتها ووضعها على كتفه ، وخرج

فى تؤده ، وقد صم أذنيه عند تأنيب أمه .

ورمقت الأم زوجها ، فإذا به صامت ، فقالت له :



تعبت . ادینت و مایقاش معایا حاجه اُیدا

- مالك سرحان النهارده ؟ .
- تعبت . ادينت وما بقاش معايا حاجه أبدا .
- الحمد لله البنت اتجهزت . وكلها يومين وتستتر ، وبعدها يعدلها ربنا .
- اتزنقت قوى .
- برضه انت اللى زنقت روحك . لو خليته يجيب المشمع والنجف والتملية وأدوات المطبخ وملة السرير زى الناس كلها ما بتعمل ، ما كنتش ازنقت كده .
- دى كلها حاجات فارغه .
- أهو برضه كان تمنها نفع دلوقتى .
- ورفع بصره إليها وقال :
- اسمعى يا زينب ، عايزين نلم نفسنا ، نكتب الكتاب ع الضيق لو اتفنجرنا ح نتفضح .
- وأنا ليه مين يا حسره ، ح اقتصر ع العيلة وبس .
- والعريس لأ ؟
- العريس إذا كان ح يعزم يعزم على بيته .. ما قلتليش اتفقت على إيه مع ابوه ؟ .
- ح ييجوا بعد صلاة العشا يكتبوا الكتاب ، وبعدها ياخذ العريس عروسته ويمشى .
- كله بيتقضى ، كلها كام يوم ونفوق على طول .

— والنبي خروف يا بابا .



ورن الجرس ونينا متصلا ، فخفت سوسن تفتح الباب ، فقرع أذنيها
صوت خروف ، فإذا بها تعود مهرولة وهى تصيح :

— ماما .. ماما . إلحقى . خروف .

وقال الأب فى تساؤل :

— خروف إيه يا بت ؟

— والنبي خروف يا بابا .

أسرع سامى وعاطف وأحلام ونبيلة إلى الباب وقامت الأم وخرج
الأب خلفها ، وقد اختفت خلفه سوسن ، وفتح الباب ، وإذا بأربعة
ديوك رومى تتدفق فى كبرياء ، وفى أثرها خروف سمين يدفعه مراد .

وقفز سوزى من يد عاطف ، وراح ينبج ، وأسرع عاطف يقبض
على ديك ، بينما صرخت سوسن رعبا من الخروف . وارتفعت أصوات
سامى وأحلام ونبيلة ، فأصبحت الشقة أشبه بحمام عام قطعت عنه
المياه .

وصاح الأب فى ضيق :

— بس بقى . إيه الزيطه دى ؟

وخفتت الأصوات ، وقال الأب لمراد :

— إيه ده ؟ .

فقال مراد وهو يدفع الخروف :

— شفيق بعتهم .

— إيش عرفك ؟

— الراجل الى جابهم واقف تحت ، كان معاه الاسم والعنوان ، وقال
إن سى شفيق الى باعهم .
وقال الأب فى مرارة :
— وليه بعتم بس ؟
فقال نبيلة فى زهو :
— بعتم هدية يا بابا .
وقالت الأم .
— طب ياللا طلعوهم ع السطح .
وأخذ الأولاد يدفعون الحروف أمامهم ، وسوزى ينبح ، وراح
سامى يهش الديوك لتشق طريقها خلف الحروف .
وقالت الأم للأب :
— مش ح ندى الراجل حاجه ؟ .
وتحرك الأب نحو غرفته ، وقالت الأم لسوسن .
— تعالى يا سوسن إدى الفلوس دى للراجل الى واقف تحت .
ومد الأب يده فى جيب جاكته المعلقة فى المشجب ، وأخرج ريالاً
أعطاه سوسن فانطلقت تعدو ، ورفعت الأم بصرها وقالت وهى تصيح
السمع :
— لو فيه مكان واسع فى الشقة كنت خلتهم فيها ، يا خوفى لحرامى
يسرقهم .
فقال حسين وهو يرفع أكف الضراعة :

— ياريت ! .

— ليه بس ؟ .

— كنت استريحت م الفتحة اللي ح تفتح عليه دى .

— فتحة إيه ؟

— الخروف والديوك دى مش عايزه طباخ ؟ !

— مش فيه ناس م العيله ح ييجوا من أول النهار ، أهو الطباخ

بغديهم ، واللامين كان ح يغديهم ؟

— كنا ح نطبخ لهم حلتين .

— أهو الطباخ ح يطبخ لهم الحلتين دول :

— والطباخ يعوز فراش .

— مش كنا ح نجيب كرسيين للناس يقعدوا عليهم . إيه اللي ح يزيد

علينا ؟

فقال الرجل وهو يهز رأسه أسفا :

— جت رجلى وخلاص .

فدنت منه وقالت مواسية :

— ربنا يخليك لهم ، وتفرحهم ، هم لهم مين غيرك ؟

فقال الرجل فى استسلام :

— لو كان فيه معلش ، إنما ما فيش خالص ، الفلوس كلها طارت .

— كله يدبر .

وعادت سوسن ، فقالت الأم :

— إديتي الفلوس للراجل ؟

— أيوه .

— وقال لك إيه ؟

— قال لي : قولي لام العروسه : مبروك .

وأشرق وجه الأم ، ورمقها زوجها من طرف عينه ، فانبسطت
تجعدات جبهته ، ولم تنفرج شفتاه .

وعادت الضوضاء إلى الشقة ، ارتفع صوت نبيلة وسامى ، قالت
نبيلة :

— إنت مالك ما تسييه .

— أسييه إزاي لما يتغور ؟

وقالت الأم :

— فيه إيه ؟

فقال سامى :

— عاطف مش عايز ينزل . قاعد جنب الخروف فوق .

— سيبه .

وساء سامى أن يهزم ، فقال :

— ح يموت الديوك .

فقالت الأم :

— ما لكش دعوه بيه ، وريح نفسك انت .

وانسابت نبيلة على أطراف أصابع قدميها وهى ترنو إلى سامى من فوق

كتفها ، ولحمت الأم الشرر في عيني سامي ، فقالت له :
— عايز تغيظها ، ما تسألش عنها .

ونفض الأب ليرتدى ثيابه ، فقالت له الأم :
— على فين ؟

— أروح اشوف الطباخ والفراش .

— وأنا ح اخرج مع أحلام نعزم العيلة .

وبلغ ذلك مسامع أحلام فقالت :

— مش ح اقدر اخرج معاكي يا ماما عشان فايزه أخت جلال جايه

تشوف الجزمه اللي ح البسها ليلة الفرح تشتري زيها .

— فايزه جايه ؟ والله احنا ما فينا خير ، اللي ما سألنا عنها ، ويوم ما

رحنا العزبه اللي ما قلنا لها تيجي .

فقالت نبيلة :

— إحنا كنا معزومين ح نعزم غيرنا ! إذا كان جلال عايز يبيها كان

جايها معاه .

فقال سامي وهو ينظر إلى أحلام :

— هو جلال فاضى لها ؟

ورمقته أحلام في شرر ، فاضطر إلى كبج جماح لسانه . ودار على

عقبه وانصرف . وقالت الأم :

— آخذ نبيله معايه ، يالالا يا نبيله البسى ما تعطلنيش .

فضحككت نبيلة ضحكة طويلة ممدودة ، حتى إن عدواها قد سرت

إلى أحلام وسوسن . وقالت وهى تقلد أمها :
— أنا اللي ح اعطلك ! قال على رأى المثل : لو الجمل حس بصنمه ..
فقالت الأم فى عصبية :
— ما باحبش اخرج معاكى يا بت انتى من لسانك الطويل .

* * *

وانطلق حسين إلى طباخ ورثه عن أبيه ، كان يقيم موائد أفراحهم
وأطعم مآثمهم ، وانتقل موقده إلى أسطح بيوت الأسرة جميعها ، واحتل
أفنية مدافنها ، وما كان فى إعداد طعامه يفرق كثيرا بين ما يقدمه فى
الأفراح وفى الأتراح .

وحياه حسين وجلس ، وقال له :
— عندى كتب كتاب أحلام يوم الخميس ، وعازيزينك تيجى تطبخ
لنا حلتين ع الضيق .

فاعتدل الطباخ وقال :

— إنت مش عازم حد أبدا ؟ .

— يا دوب العيله ح تيجى وبس .

— يبقى الكلام اللي بتقوله مش ح ينفع ، اسألنى أنا ع العيله .

— أنا عندى خروف وأربع ديوك رومى ، عشره .. خمستاشر ح

يتغدوا والباقي للعشا .

فضحك الطباخ وقال :

— عشرة خمستاشر ؟! دول يدوب أهل البيت . الكلام ده ما

ينفعش .

وأحضر ورقة وقلما وناولهما لحسين وقال :

— أول ما نبدي نبدي بالمورد ، اللهم اجعله ورد ، اكتب يا سيدى
عندك قرازة ماورد و ٢٠٠ بيضة وعشرين وقة دقيق أمريكانى .

فقال حسين معترضا :

— عشرين وقة دقيق أمريكانى ليه ؟ مش ناوى تشتري عيش ولا

إيه ؟ .

— والنبي يا حسين بيه تكتب ، إياك يكفو الفطاير اللى ح نعملها .

واستأنف إملاء ما يريد كأنما يقرأ فى صفحة مكتوبة :

— وقة شعرية ، سبع أقداح أرز ، ميت رطل لحمه عجالى .

فقال حسين معترضا :

— واللحمه العجالى ليه ؟ ما عندنا الخروف !

فقال الطباخ فى بساطة :

— ح نعمل م الخروف كفتة والا لحمه عصاج ؟ والنبي تكتب قبله

وبعدين شوف اللى عايز تقوله إيه .. أربع مراوح ضانى وخمستاشر جوز

حمام .. خد الخضار : عشرة ارطال كوسه صغيره للحشو . خمسة

ارطال ورق عنب . خمسة ارطال فاصوليا خضره ، غلبتين بسلة نشغه .

خد عندك الحاجات دى عشان الحلويات : اتنين كيلو شيكولاتا

كتل ، واتنين كيلو شيكولاتة مجروشة ، وتلت وقات كرز وخمس

علب أناناس وخمس وقات موز ، وخمسه كيلو كريمه وعشر وقيات

فسدق ، وعشرين لمونه .

ورفع حسين القلم عن الورقه وقال :

— ح تعمل إيه بالحاجات دى كلها ؟

— طرطات وهريسه وخشاف والمظيه ومهليهه .

— ما كفايه صنفين .

— لو الحاجات دى كفت يبقى ستر من عند ربنا .

— أنا مش عامل حاجه ومش عازم حد ، و... و...

— والنبي تكتب قبل ما انسى .

— لسه فيه كتابه ؟

— عشرين رطل سمن ، والبصل والفلفل والملح .

— الحاجات دى فى البيت .

— وحملين خشب رواجع ونص قنطار فحم وسلامتك .

ورفع حسين رأسه وقال :

— خلاص خلصت ، اسمع يا سيدى . أنا مش ح اجيب إلا نص

الحاجات دى .

— ياريت !

ودنا من حسين وقال له كصديق يهيمه مصلحته :

— بقى نصرف المصاريف دى كلها ونيجى ع الآخر ونفضح

نفسنا ؟

فقال حسين وهو ينظر إلى الأرض :

— بس الواحد ح ييجيب منين ؟

— كله برزقه .

أراد أن ينهى بهذا الحديث ، ويتحدث في موضوع آخر فقال :

— واتفقت ع الفراشة مع مين ؟

فقال حسين في استسلام :

— والله لسه ما اتفقتش مع حد ، لكن ما فيش إلا عماره ، على قدنا

وابن حلال .

فقال الطباخ :

— واهو الراجل بتاعنا برضه .. ح تروح له إمتى ؟

— بكره .

— وليه بكره ما تياللا نفوت عليه دلوقت .

وسارا يتحدثان حتى بلغا مخزن فراشة الحاج عماره ، وكان الحاج

جالسا خلف مكتب وإلى جواره بعض المقاعد الخشبية ، بينا وضعت

الكراسى المذهبة فى صدر المخزن فى عناية .

وقال حسين :

— السلام عليكم يا معلم عماره .

— وعليكم السلام حسين بيه . اتفضل .

وجلس حسين وجلس الطباخ ، ولم يشأ حسين أن يضيع وقتا ،

فقال :

— يوم الخميس كتب كتاب بنتى ، عايزين كام كرسى .

فقال الطباخ .

— الكلام ده ما ينفعش ، نقوم نشوف المكان الى ح يتفرش أحسن .
وقال المعلم عمارة :
— أحسن .

ثم نهض وقام الطباخ وحسين وانطلقوا إلى الشقة . وراحوا يجوسون
خلالها ويدخلون غرفها غرفة غرفة ، والفراش يقلب عينيه في الأثاث
ويلوى شفته السفلى ، ولما انتهوا من طوافهم ، قال الفراش :
— العفش اللي في الشقة لازم يتكوم في أوده واحده ويسك عليها .
فقال حسين في فزع :

— يتكوم في أوده واحده ؟ وليه كده ؟ ا .
فقال الفراش :

— لو فضل العفش ده ، الناس ح تقعد فين ؟ ح نفرش الأرض
سجاجيد ونرص الكراسي في الأرض . نجيب كام كرسي مذهب ؟
فقال حسين :

— كفايه دسته .

فقال الطباخ :

— دسته تعمل إيه ؟ ع الأقل دستتين .

وقال حسين :

— ولما ح تملا الأوض كلها كراسي ، الناس ح تاكل فين ؟

فقال الطباخ في بساطة :

(أم العروسة)

— ح نشد تركين قماش وننصب البوفيه فى السطح .
وانتهت المناقشات ، وشد الطباخ والفراش على يد حسين ، وهما
يقولان :

— ربنا يتمم بخير .
وانصرفا وارتمى حسين على الأريكة فى الردهة ، وقد شرد ببصره ثم
راح يدلك جبهته بيطن كفه .
ورن الجرس ، وأسرعت أحلام تفتح الباب ، ودخلت الأم ونبيلة ،
يلوح التعب فى وجهيهما ولكن ما أن وقعت عينا الأم على أحلام ، حتى
قالت :

— فايزه عندك ؟
— لا والله . نزلت قبل ما يسجى بابا .
— هو بابا جه ؟
ودخلت الأم . وجلست على الأريكة بجوار زوجها وقالت وهى
تخلع حذاءها رحمة بقدمها :
— خير . هه عملت إيه ؟
فقال فى صوت خافت :
— خير .

وأحس أن نبرات صوته توحى بالضيق ، وخشى أن يتسبب فى
انقباض صدر أهل بيته فى أيام فرحهم ، فتظاهر بالنشوة ، وقال لزوجته :
— هيه . عملتوا إيه ؟

فقالَت الأم :

— عزمنا الناس الى حوالينا .

— عزمتموا كثير ؟

— لا مش كثير .

فقالَت نبيلة في استنكار :

— مش كثير ؟ مش كثير ازاي ؟! دا ما فيش بيت ما دخلناش .

فالتفتت الأم إليها وقالت :

— يا بت بلاش تهويل .

فقالَت نبيلة وهي تتململ في وقتها :

— لو رجلينا تعرف تتكلم . كانت حكّت الى جرى لها .

والتفتت إلى أبيها وقالت :

— تعرف يا بابا لو الى عزمناهم كلهم جم ، ح يقي الناس على

بعضهم .

فقالَت الأم :

— هو معقول كل الى عزمناهم ح ييجوا .

فقالَت نبيلة :

— هو معقول حد يتعزم ولا يبيش . والله الى ح ييجوا أكتر م الى

عزمتهم . يا ما ناس بتيجي من غير عزومه .

وقامت الأم وهي تقول :

— يا بت انتى هواله ، ما تبقيش تخرجى معايا أبدا .

وانصرفت الأم إلى غرفتها ونبيلة تقول :

— بكره ح تشوف .

الفصل السادس عشر

وأشرقت شمس يوم الأربعاء ، اليوم السابق لليلة الخطيرة المرتقبة ليلة الزفاف ، فدبت الحياة فى الشقة مبكرا ، استيقظت الأم وأحلام ونبيلة ، ورحن يرقين عمال الفراش ، وهم يكدسون الأثاث فى الردهة التى كانت معدة لاستقبال الضيوف ، وأخذ سامى ومراد وسوسن يحملون الكراسى الخيزران على رءوسهم ، ويقومون بصفها فى الغرف التى فرشت بسجاجيد الفراش الكبيرة الحمراء ، التى نمت بزخارف عربية زرقاء وصفراء وببضاء ، استوحيت من غصون الشجر والأوراق والأزهار .

وراح عاطف يقفز فوق الكراسى ، والكلب فى أثره ، يصعد إذا صعد ، ويهبط إذا هبط ، وجاء الأب يحمل هالة على ذراعه . ولم يكن منسبط الوجه ، كان يلوح عليه آى التفكير .

ورأى هبوط عاطف وصعوده وحركته الدائبة بين الكراسى ، فقال له :

— إنت هنا بتعمل إيه ، اطلع السطح اتفرج . الطباخ ح يدبج الخروف .

والتفتت سوسن وأصاحت سمعها ، ووضع مراد الكرسي الذى يحمله

والتفت ، بينما جلس سامى على أحد الكراسى المصفوفة ، وربع يديه فوق صدره العارى . كان يرتدى بنطلونه القصير الأبيض وحذاء أبيض من المطاط ، وأشرأب بعنقه ينظر .

وذهب عاطف إلى أبيه وقال ، وعيناه تنان عن خبث :
— عايزنى أطلع السطح وانفرج على الخروف لما يدبح ؟
— آه .

— هات قرش قبله .
وأخرج الأب قرشا من جيب بنطلونه ، فالتقطه عاطف فى خفة الحداة التى تلتقط حشايا طير مذبوح ملقاة فى خربة ، واقتربت سوسن من أبيها وقالت :
— بتجيب الفلوس منين يا بابا ؟

وقفزت إلى ذهنه إجابات كثيرة ، ولكنها ما كانت تصلح إجابة عن سؤال طفلة لا تدرى ما الحياة وقسوتها ، أيقول لها من عرق الجبين الممتزج بتحمل سخافات رؤساء تافهين ؟ أيقول لها من الملق والرياء ؟ أيقول لها من كتم أنفاس صوت الضمير والسير فى مواكب النفاق ؟
وشرذ قليلا وقد ازدحمت فى رأسه صور معتمة بغیضة ، نكأت جرح نفسه ، وحركت أساه ، حتى إنه أحس مرارة فى فمه ، ولكنه كبت مشاعره وقال :

— من الحكومه .

وقالت سوسن :

— والحكومة بتجيب الفلوس منين ؟

— من الناس . الى عنده دكان تاخذ الحكومة من مكسبه ، واللى عنده بيت تاخذ الحكومة من الأجره اللي ييلمها م السكان .

فقال مراد :

— الحمد لله لا عندنا بيت ولا دكان . مش ح تاخذ مننا الحكومة حاجه .

وقال سامى :

— يا ريت كان عندنا وكانت خدت .

وقالت سوسن :

— مش الحكومة بتديك فلوس كتير قوى يا بابا ؟

وتجمعت جبهته ، ولاحت فى وجهه مسحة من الحزن ، ورأى أن يمد ذلك الحديد الذى يخز روحه ويضنيه ، فقال :

— مش ح تطلعوا تتفرجوا ع الخروف لما يدبح ؟

ورن صوته غريبا فى أذنيه ، خيل إليه أن فيه نيرة أسى ساخرة تومى إلى العلاقة بين ذبحه وذبح الخروف ، فوقف مشدوها برهة ، وقال سامى وهو ينهض :

— يللا ع السطح .

واندفع الأولاد يصيحون ، والكلب يجرى خلفهم ، والتفت عاطف وقال :

— وهاله مش ح تتفرج ع الخروف لما يدبح ؟

فقلت الأب ساخرا :

— هاله لسه صغيره ، لما تكبر ح تدبجه .

واختفى الأولاد عن عيني ، ولكن أصواتهم كانت ترن في أذنيه عالیه مدویه ، وضم هالة إلى صدره في حنان وقال يناجيها :

— لما تكبرى ح تدبجى بابا؟ ح تفلسيه كده ؟! لكن انت ذنبك إيه ، حد خد رأيك قبل ما تيجى ؟ إحنا اللي جيناكى غصب عنك .
وراح يمرر شفتيه على صفحة خدها ويغمغم :
— إكبرى وفلسى بابا .

ولمح نبيلة قادمة ترتدى بيجاما ضيقة ، تفضح مفاتن جسمها ،
فأربد وجهه ، ورفع شفتيه عن خد هالة ، وقال :
— واقفه يا نبيلة قدام الرجاله الغرب بالشكل ده ؟
ونظرت إلى نفسها في دهش وقالت :

— فيه إيه يا بابا ؟ درعاقى متغطيه ورجليه متغطيه .
فقال وهو ينظر إلى صدرها البارز ، الذى يكاد يقفز من البيجاما :
— لكن .. لكن .

— لكن إيه بس يا بابا ! إذا لبسنا فستان بكم جابونيز قلم دراعاتكو
عريانه ، وإن لبسنا فستان قصير قلتو : عيب رجلكو عريانه ، وإن
غطينا دراعتنا ورجليتنا ما نعجيش .أمال نعمل إيه بس .
ورن جرس الباب الخارجى ، فدارت نبيلة على عقبيها ، وقال لها

أبوها :

— ما تفتحيش انتى . خشى جوه . أنا الى ح افتح .

وانطلق إلى الباب وفتحہ ، وإذا بثلاث سيدات من الأسرة وأولادهن ، وخدام تحمل بقجة كبيرة ، فيها ثياب منزلية كثيرة ، وحملت فى يدها مشجبا به فستان للسهرة ، كانت هيئتهم تدل على أنهم جاءوا ليستقروا ، وما أن لمحهم حتى قال مرحبا :

— أهلا وسهلا . اتفضلوا .

وارتفعت الأصوات من هنا وهناك :

— ألف مبروك . والله فرحنا قوى . أحلام دى بنتنا .

واندفعوا داخلين ، وما أن اجتازت الخادم الباب حتى أطلقت زغرودة مدوية ، جعلت الأم وأحلام تهرعان إلى الزددة .

ودارت القبلات ، وترددت التمنيات ، وقالت النسوة وهن يضربن
ظهر أحلام فى حنان :

— أهلا بعروستنا .

وانطلقوا إلى الغرف الداخلية ، وقال الأولاد :

— أمال فىن سامى ومراد وعاطف ؟

وتلفتت الأم ، فلما لم تجد أولادها قالت بصوت عال :

— أمال الاولاد فىن ؟

فقال الأب من بعيد :

— طلعوا السطح يتفرجوا ع الخروف لما يدبح .

ولم ينتظر الأولاد حتى تدعوهم الأم إلى اللحاق بأولادها ، بل انطلقوا مهرولين وهم يتصايحون .

ورن الجرس الخارجى ، فقالت الأم :

— افتحوا الباب على طول ، هو الباب يتقفل النهارده !

وخف الأب إلى الباب وفتحه ، فإذا بسيدة وبناتها وأولادها وقد حمل الأولاد تحت إبطهم لفائف فيها ثيابهم المنزلية ، بينما حملت إحدى الفتيات فى يدها بقجة .

وابتسم ورحب بهم ، وأفسح لهم الطريق ، وأسرعت الأم لاستقبالهم وقادتهم إلى الغرف الداخلية ، ليبدلوا ثيابهم ، وليرتدوا ما حملوه فى اللفائف والبقجة .

وأخذت أم العروسة تغدو وتروح فى الشقة ، دون أن يكون لها هدف ، والتقت بزوجها بالقرب من الباب ، فقال لها :

— ما لهم مبدرين كده ؟

فقالت الأم وهى تأخذ منه هالة :

— العاده كده . يياتوا معاها ليلة الحنه .. آخر ليله لها فى بيت أبوها .

— يياتوا معاها مش ييجوا م النجمه .

واتجه الأب إلى بحر السلم ونادى :

— سامى .. سامى .. انزل .

— حاضر .

وهبط سامى فى الدرج قفزا ، حتى بلغ أباه ، فقال :

— نعم ؟

فقال الأب في صوت خافت :

— قول للطباخ يعمل حسابه إن ثلاثين ع الأقل ح يتغدوا ويتعشوا
النهارده .

فقال سامى وهو يبتسم :

— هو عامل حسابه . قال لى إنه عارف العيله كويس .

ولاح في عينى سامى كلام ، فقال له الأب يستدرجه للروح له بما
يحاول أن يكتمه :

— وقال لك إيه كان ؟

فقال سامى وهو يخفض عينيه :

— وقال لى إنه يعرف العيله أكثر منك . كنت عايز تعمل حاجه ع
الضيق ، وهو ما وافقكش . ما حبش يكشفك .

— طب اجرى حصله فوق وبلاش لت معاه .

وعاد الأب إلى الشقه ، وجلس في غرفة المكتب على كرسى من
كراسى الفراش ، بحيث يرى ما يجرى في الردهة ، ولمح زوجته في غدو
ورواح دون أن تفعل شيئا ، وسعت إليها الخادم الكبيرة ، التى جاءت مع
الفوج الأول من الأسرة ، وقالت :

— قال يا ستى مش ح تعجنوا الليله دى حنه ؟

فقالت الأم في استنكار :

— حنه ! الحاجات دى ما قدمت بقى .

فقال الخادم فى استنكار :

— هو يبقى فرح من غير حنه ! إذا كنتو مش ح تتحنوا نتحننا احنا .

— والله ما عرف الحنه بتتباع فىن !

— عند العطارىن .

ورنت إليها رنوة معبرة ، لم يفث الأم مدلولها ، فأخرجت ورقة مالية

صغيرة دفعت بها إليها وهى تقول :

— اشترى الحنه اللى عايزاها .

وارتفع صوت نسوى ينادى :

— يا ست يا أم العروسة .

فقال الأم :

— حاضر . جايه .

وظل الأب يرقب ما يجرى فى الشقة ، وهو جالس فى مكانه .

وأراحت ساعات النهار تمر وثيدة ، حتى إن حسينا ضاق بنفسه ،

واستشعر مللا ممضا ، ومالت الشمس للغروب ، فاجتمعت الخادما

فى الردهة ، وزحن يغنين ، ويرقصن على نغمات طبله ورق ، وخف

الأولاد إليهم ينظرون .

ونظرت سوسن إلى الفتاة التى كانت ترقص شزرا ، وقالت فى

ازدراء :

— هو دا رقص ؟

وسمعت الفتاة سخرية سوسن فتوقفت وقالت :

— مش عاجبك رقصي ؟! تعالى فرجينا .

وقبلت سوسن التحدى ، وتوسطت الحلقة وراحت ترقص ،
وجعلت تهز كل عضلة فى جسمها ، حتى إن الفتاة راحت ترمقها فى
غيظ ، وارتفع تصفيق الأولاد ، فخفضت النسوة ينظرن مشدوهات ،
ونظر الأب من بعيد ، ولأول مرة منذ الصباح رفت على شفثيه بسمة .
والتفتت سيدة إلى أحلام وقالت لها :

— لو كانت كبيره شويه كانت لفتت العريس منك .

فقالت أحلام وهى تبتسم :

— ما انا لحت اتجوزت قبل ما تكبر .

ومر الوقت فى ضحك ورقص وغناء وأكل ، وجاء الليل ومشت الأم
إلى حيث كان زوجها ، وراحا يتناجيان ، قال :

— فيه حد ما اتعشاش ؟

— كلهم كلوا .

— وح يناموا فىن دول كلهم ؟

— ما تحملش همهم . دلوقت يناموا مطرح ما هم قاعدين . ليله

وتنفض .

— عايزه الحق ؟ أنا تعبت خالص .

— كلها الليله دى وبكره . ونستريح بعدها على طول . استحمل

شويه .

فقال مواسيا نفسه :

— خالص الكثير ما بقى إلا القليل .

وارتفع صوت الخادم تنادى :

— يا ست يا أم العروسة .

— حاضر . جايه .

وانطلقت إليها ، فقالت الخادم :

— ح نعجن الخننه فى إيه ؟

— عندك قروانه صغيره فى الحمام اعجنينها فيها .

وجيء بالقروانه ، ووضعت فى الردهة ، وتحلق الخدم حولها ،
ووقف الأولاد ينظرون وراحت كل فتاة تلف حول كف زميلتها أشرطة
فى تقاطع هندسى ساذج ، حتى إذا وضعت الحناء فى قبضة اليد ، بقى
مكان الأشرطة دون خضاب ، فتبدو الكف منقوشة .

وتم لف الأشرطة ، وأغلقت الأكف على الحناء ، ثم ربطت القبضات
بقطع من القماش الأبيض فبدت كرعوس الثوم الكبيرة !

— ومشى الوسن إلى جفون الصغار ، فتمددوا فى أماكنهم حيث
كانوا جالسين ، ولحمتهم أم العروسة فى دورائها الدائب فى الشقة ،
فقالت :

— يا عينى ! النوم غلبهم .

ونادت على الخدم وقالت لهم :

— تعالوا افرشوا المراتب ونيموا الأولاد .

وذهبت الفتيات خلفها حيث صفت الحشايا ، بعضها فوق بعض ،

وقبضاتهن ملفوفة بالقماش ، والتفتت إليهن وقالت :
— شيلوا .

وتقدمت إحداهن ، وحاولت أن تحمل حشية بين ذراعيها ، ولكنها
أخفقت ، فقالت لها الأم :

— أنا عارفه كنتوا مستعجلين على الحنه ليه ! استنى لما أساعدك .
وتقدمت الأم ورفعت الحشية ووضعتها على عاتق الخادم ، وفعلت
مثل ذلك مع الأخريات .

وأحس الأب التعب يمشى في أوصاله ، فأخذ وسادة في يده وانطلق
إلى الغرفة التي كدس فيها الأثاث ، ووضع الوسادة على مسند كرسى
طويل ، ثم تمدد لينام .

وتكمل في رقدته ، وأحس ألما في رقبته ، فراح يتحسسها بيده ، ولم
يحتمل ما يقاسيه من تعب في نومه ، فانتصب واقفا وأخذ الوسادة
ووضعها على الأرض ، ثم رقد على البساط . وحن جسمه إلى الراحة
فراح في سبات .

وانقضى الليل . وجاء النهار ، وخيل إليه أنه يسمع رنين جرس الباب
الخارجي ، كان ما يسمعه أشبه بما يستشعره المستغرق في حلمه ، ولكنه
فتح عينيه ، فإذا برنين الجرس يصبك أذنيه .

ونفض لينطلق كعادته إلى المطبخ يأخذ وعاء اللبن ، فإذا به يحس ألما
شديدا في ظهره فتأوه ، وكاد يضطجع على المقعد الطويل ، ولكن رنين
الجرس دفعه إلى السير .

وأشرف على الردهة ونظر ، فإذا بأرضها قد غطيت بأجساد بشرية ، فاضطر أن يسير على أطراف أصابع قدميه ، وأن يقدر لرجله قبل الخطو موضعها ، حتى لا يعلو جسم سيدة ، أو يدوس في بطن غلام ! وبلغ المطبخ سلام ، وتناول الوعاء ، وعاد يشق طريقه في مهارة وحرص بين الأجساد المتناثرة على الأرض ، المتشابكة من الأقدام ، حتى إذا بلغ الباب فتحه ، ومد يده بالوعاء ، فقال له الرجل :

— ربنا يتمم بخير يا بيه .

— متشكر .

وعاد يتلمس طريقه ، وإذا بالثياب قد انحسرت عن السيقان الممتلئة ، فنظر ، وانشغل بالنظر عن اكتشاف الطريق ، فكادت قدمه تتعثر ، وارتج اللبى فى الوعاء ، فانتبه ، وراح يتقدم فى حرص شديد . ووقف يغلى اللبن ، وأخرج من التلمية الزجاجاة وراح يغسلها ، حتى إذا ما فار اللبن صبه فيها وأغلقها بالحلمة المطاط ، ثم اتجه إلى الصنبور وفتحها ، ووضع الزجاجاة تحت الماء المتدفق .

وكان يمص الحلمة مصة بين لحظة وأخرى ليطمئن إلى مناسبة حرارة اللبن ، وخرج إلى الردهة ، وراح يجوس خلال النائمى وهو ينقب عن هالة ، ويده ممدودة بالزجاجاة .

ولمح مراد نائما على الأرض وقد رفع رجليه وأسندهما إلى الحائط ، ورأى سوسن عارية البطن كعادتها ، فمد يده وأسدل ثيابها على بطنها ، وأخيرا عثر بزوجته وقد نامت على ذراعها وإلى جوارها هالة ، فوضع

الحلمة في فم ابنته ، فإذا بها ترفع يديها وتقبض على الزجاجة ، فنظر مليا ثم انسل هاربا من المكان .

ودبت الحياة في الشقة وارتفعت الأصوات وتداخلت وامتزجت فانقلبت إلى ضوضاء تحطم الأعصاب ، وأقبل سامي على أبيه وقال :

— ح اعمل لهم شاى فى إيه ؟

فقال له أبوه فى ضيق :

— ضرورى يشربوا شاى ! إياك نفطرهم احنا .

— فيه ناس طلبت شاى ؟

فغمغم الأب مندهشا :

— طلبت إ؟ هى قهوه إ؟

ثم رفع صوته وقال :

— روح اعمل لهم شاى فى حلة .. فى طشت الغليه .

— وح اجيب لهم شاى وسكر مينين إ؟

— خد من ماما .

وتحرك سامي لينصرف ، وإذا بأبيه يقول له :

— اسمع . قبل ما تعمل الشاى اطلع للطباخ قول له يحضر لهم

الفطور .

— حاضر .

وانصرف سامي وبقي الأب وحده فى الغرفة ، فراح يعد على أصابعه

وهو يحدث نفسه بصوت مسموع :

(أم العروسة)

— غدا وعشا وفطور وغدا وعشا .

ولوی شفته السفلی فی ضیق ، وهز کتفیه فی استسلام . وقال وهو
یدور علی عقیبه .
— واحد مصارینه خرجت ، کل واحد قال حته لقطتی .

الفصل السابع عشر

راح الأب يدور في الغرفات ، ويلقى نظرة أخيرة على المكان ، فعمّا قليل تغيب الشمس ويتقاطر المدعوون من كل حذب وصوب ، وأقبل سامى يرتدى بذلة أنيقة ، وكرفانة عالية ، يتبه في مشيته ، وأطل من الشباك ينظر ، فبدأ عليه أنه ينتظر أمرا .

وجاء مراد غريبا لأول مرة ، فوجهه نظيف ، لا أثر للحبر في أصابعه ، يرتدى بنطلونا ، وقميصا من الحرير المصفاه ، وحذاء أسود يتألق ، وكأنما استشعر التغير الذى طرأ عليه ، فقال بصوت خافت :
— الطباخ يقول عايز حمل خشب كان .

فقال الأب في تبرم :

— أنا تعبت خلاص . قل له يجيب اللى هو عايزه .

وأقبل عاطف يرتدى بنطلونا من القطيفة ، وقميصا تدلى فى أناقة فوق محيط البنطلون فأخفى جزءاً منه ، وراح سوزى يتقدمه وهو يصبص بذيله ، ثم يتوقف حتى يلحق به ويتركه ، فيعود ليتقدمه ثم ينتظره .
وجاءت سوسن وقد قصت شعرها ، ووضعت الأحمر فى شفيتها وفى وجنتها ، تحب فى ثوب متفوخ عند طرفه ، ضيق غاية الضيق عند خضرها .

وأسرع عاطف إلى أبيه وقال له :

— مش أنا حلو ؟

فقال الأب دون أن ينظر إليه :

— حلو خالص .

فدنا من أبيه حتى التصق به وقال :

— طب هات قرش بقى .

فقال له الأب .

— ح تعمل به إيه ؟ عندنا كل حاجة . اللى عندهم فرح ما ياخدوش

فلوس .

وغمغم فى صوت خافت :

— يدفعوا بس .

والتف أولاده حوله ، فقال لهم فى ذعر :

— انتو ح تتكوموا فى حتة واحده ؟! ما تتفرقوا .

وانتهز عاطف هذه الفرصة فقال :

— مش ح امشى إلا لما آخذ القرش .

فقال الأب لمراد :

— خد أخوك للطباخ يديه حتة هريسه .

ومد مراد يده وتناول يد عاطف ، فقالت سوسن :

— وانا يا بابا ؟

— وانتى روى معاهم .

والتفت سامى وقال :

— يبقى المعازيم مش ح يلاقوا حاجه ياكلوها .

وخرج مراد وعاطف وسوسن والكلب فى أثرهم وأقبل الفراش

وقال :

— عايزين نأجر كان كام لمبه حمره .

فقال الأب فى ضيق :

— كفايه اللى أجرتاه .

فقال الفراش ليقنعه :

— الزينه اللى عملناها على واجهة البيت نورها فسخان . بقى نصرف

المصاريف دى كلها ، ونيجى ع الآخر نبوظ الطبخه على بقرش ملح !

— خلاص مش ح اعمل حاجه زياده عن اللى اتعمل . كفايه بقى .

وسار الفراش إلى جواره وقال :

— والميكرفون ؟

— مالوش لزمه .

وهز الفراش كتفيه وانصرف ، وأطل سامى من الشباك وهتف فى

فرح :

— صحابى جم .

وخف الأب إلى الشباك ونظر ، فإذا بجمع كبير من تلاميذ المدارس

مقبلين ، فقطب جبينه وقال :

— مظاهره دى !

والتفت إلى سامى وقال فى استنكار :

— إنت عزمت المدرسه كلها . ؟

ولم يرد سامى على استنكاره ، بل أسرع لاستقبال أصحابه .

وغادر الأب الشباك وهو مذهول ، وسار حتى غادر الغرفة ،

فلمحته زوجته ، فأسرعت إليه وقالت له :

— إنت لسه ما غيرتش هدومك ! الناس جت .

— أنا تعبت خالص . ما بقاش فى روح .

— خلص الكثير ما بقى الا القليل . كلها كام ساعه وننفض ،

ونستريح على طول .

— وهدومى فىن ؟

— فى الأوده اللي كومننا فيها العفش .

وارتفع صوت ينادى :

— يا أم العروسه .. يا ست أم العروسه .

— جايه . جايه حالا .

وذهب الأب يستبدل ثيابه ، وانطلقت أم العروسه تلبى رغبات

المدعوات .

وتوافد الناس ، وازدحم المكان بالرجال والنساء والأطفال وجاءت

فتيات صغيرات ، وإذا بنبيلة تسرع إليهن وترحب بهن وتبالغ فى

الترحيب ، فقد كن زميلاتهما فى المدرسة .

ونظرت الفتيات إلى ثوبها الأبيض فى إعجاب ، وقالت إحداهن :

— مش ناقصك إلا الطرحه البيضه وتبقى عروسه .

وقالت أخرى مستنكرة :

— بس ! لو كانت الحكايه كده كان كل شىء بقى سهل .. الرك مش

ع الطرحه .

فقال الأولى :

— آمال الرك على إيه ؟ .

فقال الثانية وهى تضحك :

— الرك ع العريس .

وماج المكان بالناس حتى لم يعد هناك موضع لقدم : وخرج الأب
بعد أن ارتدى ثيابه الأنيقة ، وراح يجوس خلال الجموع وهو مأخوذ ،
وأخذت صديقات نبيلة يرقصن ويغنين ، فسرى المرح وساد الفرح بهجة
وحبور .

وقال قائل :

— العريس .

فسرت هممة ، واشترأت الأعناق ، وصوبت العيون إلى الباب
وتقدم جلال وأمه وأبوه وبعض فتيان وفتيات ، وكان شفيق بين
القادمين .

وظفق شفيق يتلفت ، حتى وقعت عيناه على نبيلة ، فشق طريقه
إليها ، وصافحها فى شوق ولم يكتف بالسر الذى أخذت عيناه تبوحان
به ، بل زم شفتيه وفطنت نبيلة إلى أنه يعث إليها بقبلة ، فغضت مز

بصرها ، وإن كانت ينايغ الغبطة تفجرت في أعماقها .
وانطلق جلال وأبوه وأمه ومن كان في رفقتهم إلى الكراسى المذهبة ،
واحتلوها . والتقى حسين بزوجه ، فقال لها همسا :

— علب الملبس مش ح تكفى . مافيش إلا إنا نقدم الملبس على
صوانى . يا دوب كل معزوم ياخذ ملبسه .. أنا تعبت خالص .. إمتى
المولده ينفض !

— بعد الكتاب ، يطلعوا البوفيه ، وكل واحد يروح لحاله ، وينفض
المولده .

وسحب رجل الأب من ذراعه ، وهو يقول له : المأذون جه ،
اتفضل .

وجلس الأب وجلال يتصافحان ، وأسدل على يديهما منديل من
الحرير ، وجلس المأذون بينهما يلقيهما صيغة الرباط المقدس ، ووقف
شفيق ينظر ونبيلة إلى جواره .

والتقت عينا شفيق بعيني نبيلة ، فإذا بالحب يتحدث ، وإذا بكل
خلجة من خواجهما تنم عن العاطفة الجياشة ، ومد شفيق يده وقبض
على يد نبيلة ، وراح يضغطها في رفق وحنان .

وأطلقت الزغاريد ، إذانا بانتهاء العقد ، ودخل الفراشون يحملون
أكواب الشراب الوردى على صوانى من الفضة ، وامتدت الأيدي
واختفى الشراب في الأجواف .

وقام جلال يصافح المدعوين ، وإذا بشفيق يجذبه من ذراعه ويقوده

إلى حيث كانت أحلام .

كانت أحلام فى ثياب العرس ، وقد أسدات نقابا شفافا على وجهها ،
فمد جلال يده ورفع النقاب ، ومال إليها وقبلها قبلة طويلة حارة ، وإذا
بشفيق يلتفت إلى نبيلة ويهمس : عقبالنا .

والتقى حسين بزوجه ، فقالت له والدموع تترقق فى عينيها :
— مبروك .

فقال لها :

— — تعبان ، متيهاً لى انى ح اقع .

— خلاص . طالعين ع البوفيه ، وبعدها ح ينزلوا على طول .
ووضع جلال يده فى يد أحلام وسارا والزغاريد تدوى فى المكان .
وتدفق المدعوون إلى السطح ، حيث الطعام ، ولم يبق فى الشقة إلا
الآثار ، وحسين منهار على مقعد من المقاعد الذهبية وزوجه إلى جواره
تقول له :

— ياللا نطلع . الناس تقول إيه !

— مش قادر . تعبت خالص . عايز أنام .

— قوم .. قوم . كلها ساعة . وتنام بعدها زى ما انت عايز .

— اسبقينى . ح استريح دقيقتين وح حصلك .

وقامت أم العروسة ، وانطلقت إلى السطح ، وبقي الأب
مضطجعاً ، وحن جسمه إلى الراحة ، فأغمض عينيه ، ومس أذنيه
خفيف ثوب ، ووقع أقدام ، ففتح عينيه ونظر ، فإذا بشفيق مقبل وفى

يده نبيلة .

ورفع رأسه وراح ينقل بصره بينهما وهو مكدود ، وتقدم شفيق خطوة ، وراح يجمع أطراف شجاعته ، ثم قال :
— أنا جاى يا عمى أطلب منك نبيلة .

فقال الأب دون تفكير :

— روح الله يبارك لك فيها .

والتفت شفيق إلى نبيلة ، ومد يده وقبض على يدها ، ثم انصرفا مهرولين ، وقد اتسمت حركاتهما بالخفة والسرور .
وتمدد الأب فى المقعد الوثير ، وغفا قليلا ، ولكن سرعان ما استيقظ على دوى الزغاريد فهب من نومه ، وبدأ فكره يعمل ، فتذكر ما قاله شفيق : فصباح :

— شفيق .. نبيلة . الله .. دا خطبها منى وأنا وافقت . إيه العمل

دلوقت . ح اجهز تانى ١٩ إزاي ؟ ومنين ١٩

وراح يهرول صوب باب الشقة وهو ينادى :

— يا زينب .. يا أم العروسه .. تعالى شوفى اللى جرى .. مش ح

نستريح .. المولد ده مش ح ينفض .. مش ح ينفض أبدا .

وكان قد بلغ باب الشقة الخارجى ، فوقع بصره على أحلام وجلال وهما هابطان ، وشفيق ونبيلة خلفهما ، والرجال والنساء والأطفال يتدفقون خلفهما فى الدرج ، والزغاريد تجلجل والأصوات تتداخل فوق ينظر وقد فغرفاه فى دهش ، ثم سقط مغشيا عليه .

مؤلفات الأستاذ عبد الحميد جودة السحار

- أحسن بطل الاستقلال
 - أبو ذر الغفارى
 - بلال مؤذن الرسول
 - فى الوظيفة
 - سعد بن أبى وقاص
 - همزات الشياطين
 - أبناء أبى بكر الصديق
 - فى قافلة الزمان
 - أميرة قرطبة
 - النقاب الأزرق
 - المسيح عيسى بن مريم
 - أهل بيت النبى
 - محمد رسول الله
 - تأليف : مولاى محمد على
 - ترجمة بالاشتراك مع مصطفى فهمى
 - قصص من الكتب المقدسة
 - صدى السنين
 - حياة الحسين
- (مجموعة أفاصيص)
(مجموعة أفاصيص)
(رواية)
(قصة)
(قصة)
ترجم إلى الاندونيسية
ترجمت إلى الاندونيسية

- | | |
|-------------------|--------------------------------|
| (رواية) | — الشارع الجديد |
| (قصة) | — وكان مساء |
| (قصة) | — أذرع وسيقان |
| (قصة) | — المستنقع |
| (مجموعة أقاصيص) | — ليلة عاصفة |
| (رواية) | — الحصاد |
| (قصة) | — جسر الشيطان |
| (قصة) | — النصف الآخر |
| (رواية) | — السهول البيض |
| (قصة) | — أم العروسة |
| (قصة) | — قلعة الأبطال |
| | — وعد الله وإسرائيل |
| | — عمر بن عبد العزيز |
| | — هذه حياتي |
| | — الحفيد |
| | — ذكريات سينائية |
| | — كشك الموسيقى |
| | — خفقات قلب |
| | — صور وذكريات |
| | — الإسراء والمعراج |
| | — القصة من خلال تجاربي الذاتية |
| | — عدو البشر |
| | — أبطال الجزيرة الخضراء |
| | — الثمر |

- الله اكبر
- ثلاثة رجال في حياتها
- مسجد الرسول
- فات الميعاد
- آدم إلى الأبد
- العرب في أوروبا
- الدستور من القرآن العظيم

السيرة النبوية في ٢٠ جزءًا

- | | |
|-------------------|---------------------------|
| ١١ — الهجرة | ١ — إبراهيم أبو الأنبياء |
| ١٢ — غزوة بدر | ٢ — هاجر المصرية أم العرب |
| ١٣ — غزوة أحد | ٣ — بنو إسماعيل |
| ١٤ — غزوة الخندق | ٤ — العدنانيون |
| ١٥ — صلح الحديبية | ٥ — قريش |
| ١٦ — فتح مكة | ٦ — مولد الرسول |
| ١٧ — غزوة تبوك | ٧ — اليتيم |
| ١٨ — عام الوفود | ٨ — خديجة بنت خويلد |
| ١٩ — حجة الوداع | ٩ — دعوة إبراهيم |
| ٢٠ — وفاة الرسول | ١٠ — عام الحزن |

رقم الإيداع ٢٥٥٧

الترقيم الدولي ٠ — ٢٢٣ — ٣١٦ — ٩٧٧

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صديقي - البحالة

الثمان ٦٥٠ قرشا

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه